

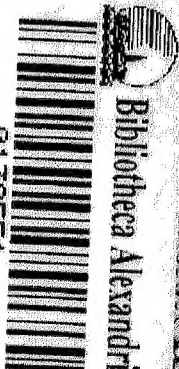
صَلاَح عَزَام

قضية

الحرمين الشريفين

تداع. الدفاع. المسؤولية

0130551



Bibliotheca Alexandrina



ثقافة وعلم إنسانية لكل شعب

تمدد دعاً مؤسسة

دار الشعب

للمصاحفة والطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

أحمد شوقي القيسي

المدير العام

جمال الدين زكي

سلاطين القاهرة .. والمنا قلب العروبة والإسلام
الباطن .. تتجلى مكانها التاريخية والحضارية ..
في عالم الفكر والثقافة والنشر !!



٢٠١٣

الإدارة: ٩٢ شارع قصر العيني - بالقاهرة

ت. ٣٥٥١٨١٠ / ٣٥٥١٨١٨ / ٣٥٤٣٨٠ / ٣٥٥٧٧٣٠

تلكس دولي: ٢٠٥٧٤

ص. ب. ١٤ رستم بريد ١١٥٦٦





قضية
الحرمين
الشريفيين
الاعتداء.الدفاع.المسئولية

محمد سلام عزيم

□ رئيس قطاع النشر :
سعاد قنديل

● الغلاف تصميم :
□ حسن احمد خليل
● الاعداد الفني :
□ انور عبد الدايم



مقدمة

بدون مجاملة .. تابعت على مدى سنوات الخدمات
التي تقدمها المملكة العربية السعودية للحجاج والمعتمرين
وأيضاً ما تقوم به نحو حج أكمل وأمان أكثر لحجاج
البيت وعماره وزوار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأشهد اننى كنت فى كل مرة يكرمنى الله سبحانه
وتعالى بزيارة الحرمين أطرح على نفسى ودائماً سؤالاً ..
ورددته أكثر من مرة .. وفى أكثر من تجمع هنا .. وهناك
وهو هل كان يمكن للدولة .. أى دولة .. ولحكومة أى
حكومة .. أن تقوم بما تقدمه الحكومة السعودية من هذه
الإنشاءات والخدمات والتيسيرات لمسلمى العالم .. ومن
غير أن تطلب المعونة .. أو على الأقل المشاركة فى النفقات
والجواب .. بالقطع لا...
فالطرق الممهدة..
والأنفاق التى تشق الجبال إختصاراً للوقت وراحة
للجميع ..

وماء زمزم الذى يصل إلى الحجاج والعمار .. والزوار
.. بارداً .. وفى كل المواقع فى منى .. وعرفات .. والمدينة
المنورة وبدون أى مقابل ..

وذا القرآن التى توزع مئات الملايين من المصاحف .
ووزارة كاملة لا عمل لها إلا دراسة وتنفيذ مشروعات
متجددة ومتطورة لخدمة الحج والحجاج .. والإسلام
والمسلمين فى كل مكان ويقوم بتنفيذ ذلك مجموعة
منتقاه من الدعاة والمفكرين وبرئاسة وزير عالم مفكر
واثله .. هى وزارة الحج والأوقاف .. وهو الأستاذ
عبد الوهاب عبد الواسع .

فمن يقدر على ذلك . ؟

ومن يفعل هذا .. ؟

وتحت أى مسمى .. ؟

وفى أى قطر .. ؟

ولكنه وللحق والحقيقة يحدث هناك فقط .. فى
السعودية .. وبفضل من الله وتوفيقه ..

و.. عشت مظاهرات الإيرانيين فى حج عام ١٤٠٧
للهجرة ..

وأسفت .. وحزنت لمن فعل .. ولردود الفعل التي
جاءت أقل مما يجب ..

فلقد رأيت من قبل المسيرات الإيرانية والمظاهرات
الشيوعية .. وكنت أبتعد السامح بها إيماناً مني .. بأن الصبر
عليها سينتهي بها يوماً ما .. إلى كارثة عامة .. وهذا
ما حدث في حج عام ١٤٠٧ للهجرة ..

وما أعقب مظاهرات عام ١٤٠٧ للهجرة .. من مؤتمرات ..
كان في نظري مساوياً في السوء لها .. وأقصد المؤتمرات التي
عقدت تحت شعار (حماية الحرمين والدعوة إلى تدويل
منطقة الحرمين) ..

حقيقة .. هناك ندوات أقيمت في المقابل بالقاهرة ..
وغيرها .. تدين هذا العدوان الأثيم
ولكن ..

فوجئنا بعقد ندوات أخرى تساند المظاهرات ..
وهي في حد ذاتها مظاهرات (صاخبة) و (مرفوضة) ..
ولذلك فقد رفضت قبول الدعوة لحضورها مبيناً
وجهة نظري .. ومعتاباً كل من شارك فيها .

فهل يقبل مسلم بتدويل منطقة الحرمين .. ؟

وهل يقبل مسلم في أى مكان كلمة (حماية الحرمين)
وقد تكفل بذلك الحق تبارك وتعالى .. وحددت لنا
الشريعة كيفية الوسيلة ومن المسئول من البشر عن هذا ..
ان هذه الدعوة .. وبكل أسف نادى بها خصوم
الإسلام وأعداء المسلمين .. ومنذ أكثر من ١٥ عاماً وإزاء
الرفض الإسلامى العام توارت الدعوة ولم ييأس أصحابها
.. خصوم الدين .. انتظاراً للفرصة ..

فهل يقبل المشاركون في دعوة كهذه أن يكونوا
أعواناً لأعداء الدين .. ،

و.. لماذا .. ؟

أعن تقصير .. أو قصور ممن كلفهم الله سبحانه
وتعالى وأكرمهم بالقيام بهذا العمل الجليل ونياية عن
مسلمى العالم ..

أم أن وراء ذلك أهدافاً أخرى ..

إننى أجزم والحق والواقع معى .. أن مثل هذه
الدعوة وراءها مخطط صليبي (عصرى) .. وياويل من
يسير في ركابها من الله .. والناس .. والتاريخ ..

ثم .. على أى أساس بنى هؤلاء - الأشخاص -
دعوتهم أهي - عن حقيقته شرعية غائبة .. ١٩
ألها سند قانونى .. ١٩

إذا فلنبحث عن الأصول .. ولنراجع الموثيق
والقوانين ..

وبينما أبحث فى ذلك .. إذا بى أدعى إلى مؤتمرات
بالقاهرة .. تناقش قضايا العدوان على الحرمين ..
ومسؤولية العلماء .. والمسلمين .. ؛ ووجدت بين الدراسات
والأبحاث ما يعينى عن هذا .. بل وما يكفينى أيضاً
والحمد لله ..

ومن أجل ذلك فقد اخترت من بين عشرات
الدراسات والأبحاث خمسة فقط .. راعيت فيها أمرين ..
الأول المضمون .

والثانى : مكانة الباحث العلمية والدينية .. والأدبية
مع احترامى وتقديرى لغيرهم وهم أفاضلتنا ولهم مكانتهم
... وفى كل المجالات ..

فكان البحث الأول لشيخ الأزهر الشيخ جاد الحق

على جاد الحق ... وهو الرجل .. القاضى .. المعروف
بأحكامه والتي تعتبر مرجعاً للمحاميين والمتقاضين .

و.. الدراسة الثانية للدكتور محمد السيد طنطاوى
مفتى الديار المصرية .. المحقق .. والذي اتخذ جانب
التفسير القرآنى مجالا لعلمه ودراسته وتدريسه .

و.. الدراسة الثالثة .. لأستاذ القانون والدستور
المستشار الدكتور جمال الدين محمود نائب المحكمة
العليا وأمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

و.. الدراسة الرابعة .. للشيخ محمد بدر الدين
حسام الدين .. العالم الباحث المدقق والمحقق .. والذي
صار (عمدة) لكل دارس .. وكل طالب .. وكل عالم..
و.. الدراسة الخامسة .. للدكتور عبد الرحمن
اسماعيل الصالحى .. الأستاذ الجامعى .. والعالم الذى
شهدت له الجامعات بجديته .. وأمانته .

هذه الدراسات أغنتنى وبحق عن أن أبحث لأقول
مايقولونه عن تحريم وتجريم تدويل الحرمين .. وعن
مسئولية الدولة الحاكمة فى السعودية فى الدفاع وحماية
الحرمين فضلا من الله وباسم كل المسلمين شرعاً وقانوناً ..

وهذه الدراسات هي جزء من واجب ارتضيئناه ..
ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إليه حتى نلقاه ..
في أن نقدم الكلمة الإسلامية والرأى الإسلامى خالصاً
مخلصاً لنصبح كما أراد الله سبحانه جل شأنه خير أمة
أخرجت للناس ..

وبقيت كلمة ..

ولماذا هذا الكتاب الآن .

والإجابة سهلة .. ولم تكن في حاجة إلى السؤال ..
وهى لأن أنخشى ما أخشاه أن ننسى هذه القضية وسط
كلمات وخطب ومقابلات السلام فى أرض الخليج ..
وكان حتماً علينا أن نساغ بنشر هذه الدراسة
الانزاماً بمسؤولية كل مفكر مسلم .. فى أن يعرف كل مواطن
مسلم .. بحق الشرع والشرعية والقوانين الوضعية
والدولية فى الدفاع عن الحرميين وتحديد من المسئول عن
ذلك ..

خاصة وقد توقف نزيف الدم الإسلامى المراق على أرض
المسلمين فى العراق وإيران .. وبالتالي تحقق لخصوم الدعوة
والإسلام والمسلمين فرصة نتناسى فيها هذه القضية
فيتحركون كالعهد بهم فى (الظلمات) لخدمة أفكارهم ..

وقضية حرمة و قدسية الحرمين .. يجب أن تعيش
في فكر ووجدان كل مسلم .. ليس الآن فقط .. بل
وحتى تقوم الساعة ..

وألست الكعبة قبلتنا ..

وألست المدينة المنورة .. ومسجد النبي وقبره بها ..
مزارنا وراحة قلوبنا ؟ ..

هذا هو ما كتبه تفصيلا وفي شهر سبتمبر ١٩٨٨
المحرم ١٤٠٩ تجليداً .

وجمعت الأوراق وانتظرت فقد كان توقع الجميع ..
ولم أكن منهم أن أحداث الحرم لن تتكرر .. ولم
تنقضى شهور عام واحد بعد كتابتي المقدمة .. إلا
وعادت الأحداث .. وفي موسم الحج .. ١٤٠٩ .. وبصورة
(مخففة) .. ولكنها تثبت أن النوايا في استمرارية
العدوان على الحرمين واستغلال موسم الحج للقيام بالأعمال
العدوانية قائم وثابت .. فقد حدثت متفجرات بالقرب
من الحرمين وأمكن لجهات الأمن وفي سرعة رائعة
احتواء الأمر وإعادة الطمأنينة والأمن والقبض على
المتآمرين ..

ومر موسم الحج بسلام والحمد لله ..
وقدم المتهمون للمحاكمة وصدرت الأحكام .. وهذا
الأمر والقضية موضوع دراسة قادمة بإذن الله .
ولعلى بعملى هذا أساهم - بقدر مهما قل - للوصول
إلى تعميق القاعدة الفقهية بتجريم كل ما من شأنه
أن يروع أمن وأمان ضيوف الرحمن .
وعلى الله قصد السبيل

صلاح عزام

مصر الجديدة رجب ١٤١٠ هـ
فبراير ١٩٨٩ م



البَاب
الأَوَّل

قَدْسِيَّةُ الْحَرَمَيْنِ

فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْفَقْهِ

وعن قدسية الحرمين .. كما يحدثنا القرآن
الكريم .. وتذكره السنة المشرفة ويوضحه الفقه
الإسلامي .. يذكر لنا الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر في دراسته .. عرضاً كاملاً لهذا الأمر بادئاً
بمكانة مكة والمسجد الحرام في التاريخ .. ولدى الإسلام
والمسلمين .

فيقول عن مكة في القرآن الكريم :

قال الله تعالى في سورة آل عمران^(١) : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ
لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) ..
وفي سورة الأنعام^(٢) : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) ..
وفي سورة النمل^(٣) : (إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـذِهِ
الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) ..

(٢) الآية : ٩٢

(١) الآية : ٩٦

(٣) الآية : ٩١ .

وفي سورة الفتح (١) : (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) ..
وفي سورة التين (٢) : (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينُ) ..
ومكة (٣) ببطن واد محاط بسور جبلي في أرض الحجاز ..
وجبالها سلسلتان :

(١) شمالية : وتتكون من الفلج غرباً ، ثم قعيقعان ، ثم
جبل الهدى ثم جبل القليع ، ثم جبل كداء وهو في أعلى
مكة ومن جهته دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - عام
الفتح وفي حجة الوداع .

(ب) وجنوبية : تتكون من جبل عمر غرباً ، ثم جبل كدا
(مقصوراً) ثم كدى (مصغراً) بميل إلى الجنوب ثم جبل
أبي قبيس شرق مكة ، ثم جبل خندمة .
ويقول عن بيت الله الحرام :

إن هذا هو البيت الأول الذي وضعه إبراهيم الخليل عليه
السلام بأمر الله رب العالمين : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ
لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) (٤) فهو للناس جميعاً .

(٢) الآية : ٣

(١) الآية : ٢٤ .

(٣) هذه الفقرة بموقع مكة وجبالها أوداغلها واردة في هامش كتاب الدين الخالص ج ٩ ص ٩٨٨ ،

٩٩ الشيخ أمين خطاب ط ٣ سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م . (٤) الآية : ٩٦ من سورة آل عمران .

هذا هو البيت الحرام الذى يطوف حوله الذين قربهم الله إلى حماه ، إنه البيت المعظم الذى خص الله جيرانه بالأمن والبركة ، إذا قصده الزائرون هلّوا وكبروا ابتغاء لمرضاة الله وأقروا بوحداية الله وصمدانيته ، وامتلات قلوبهم رهبة من عظمة الله وقوته ، ورغبة فى رعاية الله ورحمته ، لا يذكرون فيه غير الله ، ولا يهتفون لأحد سواه .

تنادى الناس بحرمة هذا البيت ، منذ أن كان ولاسيما العرب - قبل الإسلام - على اختلاف معتقداتهم وتناقض نزعاتهم ، وخطوا له حرماً واسعاً لا يدخلونه إلا محزمين وإذا مسهم الخوف فلدجأوا إليه صاروا فيه وبه آمين : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) (١) ..

وفى سورة الحج (٢) : نجد آيات القرآن الكريم قد أفصحت عن مكانة المسجد الحرام وعن الأمر ببنائه ، وعن فرض الحج إليه ، وعن المنافع التى يتلقاها الحاج من جراء أدائه هذه الفريضة ، وعن عقاب كل من يحاول فيه بإلحاد بظلم . وفى سورة البقرة نجد القرآن العظيم - فى أكثر من آية وقد مجد مكانة البيت الحرام مذكراً بقصة بنائه وبالذوات

(١) من الآية : ٦٧ من سورة النكبات ، (٢) الآيات : ٢٥ - ٢٩ .

الخشعات التي كان إبراهيم - عليه السلام - يتضرع بها إلى ربه عند إقامته قواعد هذا البيت المعظم : (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (١) ..

وفي سورة إبراهيم حكاية لدعوات إبراهيم وضراعه إلى الله أن يرعى ذريته التي أسكنها عند بيت الله الحرام بدأت بقول الله سبحانه : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) (٢) ..

وفي سورة الحج (٣) : بيان أن موضع البيت الحرام قد عرفه الله إبراهيم عليه السلام وأمره بإقامته وتطهيره والأذان في الناس بالحج إليه ، وتلك مهام على قدر عظيم من الأهمية والخطر بمكانه في مستقبل الأيام : (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) ..

(١) الآية : ١٢٥ وما بعدها .

(٢) الآيات : ٣٧ - ٤٠ .

(٣) الأيتان : ٢٦ ، ٢٧ .

وفي سورة البقرة (١) : يذكركم القرآن بدعوات إبراهيم وابنه
إسماعيل عليهما السلام - فيقول الله : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ
مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ،
رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَثَبِّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ؛ رَبَّنَا وَابْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ..

هذه الضراعة إلى الله قد استجيبت ، فكان هذا البيت
الحرام مطهراً من الشرك والوثنية والإلحاد ، وكانت فريضة
الحج ، وكانت هذه الأمة المسلمة له ، وكان هذا النبي - محمد
صلى الله عليه وسلم - من هذه الأمة رسولا معلماً ومبشراً ونذيراً
ومطهراً لهم ولهذا البيت ، فلم يعبد فيه غير الله منذ فتح الله له
مكة .

ثم يعرض شيخ الأزهر للحرم الآمن فيقول :

في سورة القصص قول الله سبحانه (٢) : (وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ
الْهُدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ امِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا

(١) الآيات : من ١٢٧-١٢٩ .

(٢) الآية : ٥٧ .

يَجْزِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ..

هذا الحرم قد حدد (١) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدوده التي لا يحل' للمتجه إلى مكة قاصدا الحج أو العمرة أوهما معاً أن يتجاوزها إلا محرماً ..

وهي خمسة مواقع :

الأول : ذو الحليفة : وهو موضع في الجنوب الغربي للمدينة بينه وبين المسجد النبوي الشريف نحو أحد عشر كيلو مترا وفي الشمال من مكة بنحو أربعمئة وخمسين كيلو مترا ومن هذا الموقع أحرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع وتسميه العامة : آبار على .

الثاني : ذات عرق ، لأهل العراق وكل من يمر به وهو موضع في الشمال الشرقي لمكة يبعد عنها أربعة وتسعين كيلو مترا .

الثالث : الجحفة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، موضع في الشمال الغربي لمكة ، على بعد سبعة' وثمانين ومائة كيلو

(١) حدود الحرم أو مواقيت الإحرام مصدرها من كتاب الدين الخالص ، مرجع سابق ص ٤٧ ، ٥٠ .

متر ، وكانت تسمى مهيعة ، فنزلها إخوة عاد فجاءهم سيل فأجحفهم فسميت الجحفة ، وقد انطمست معالمها ولذا صار الناس يحرمون من رابغ (مدينة في شمالها) على بعد مائتين وأربعة كيلو مترات من مكة في الشمال الغربي لها ، وهى ميقات لأهل مصر والشام ومن يمر عليها ممن جاءوا من المغرب .

الرابع : قرن المنازل' لأهل نجد ومن سلك طريقهم ، وهو جبل مطان على عرفات شرق مكة بميل قليل إلى الشمال على بعد أربعة وتسعين كيلو متراً من مكة .

الخامس : يللمم : وهو جبل جنوبى مكة على بعد أربعة وتسعين كيلو مترا ، وهو ميقات لأهل تهامة من اليمن ولن يمر به أويحاذيه من الهنود وغيرهم .

(روت السيدة عائشة (١) - رضى الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم وقَّت لأهل المدينة : ذا الحليفة ، ولأهل الشام ومصر : الجحفة ، ولأهل العراق : ذات عرق ، ولأهل نجد : قرنا ، ولأهل اليمن : يللمم) . .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبي - صلى الله

(١) أخرجه الترمذى .

عليه وسلم - وَقَّتْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ : ذَا الْحَلِيفَةِ ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ :
الْجَحْفَةِ ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ : قَرْنَ الْمَنَازِلِ ... وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ : يَلْمَلَمِ ،
قَالَ : فَهَنَ لَهُنَّ وَلَمَنَ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ ، مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ
وَالْعُمْرَةَ وَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ فَمِهْلُهُ مِنْ أَهْلِهِ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يَهْلُونَ
مِنْهَا (١) .

ويعرض فضيلة الإمام لفضائل مكة وخواصها فيقول :

لقد اختار الله هذا البلد وشرفه ببيته الحرام الذي جعله
منسكاً لعبادته وأوجب على المسلمين الحج إليه من كل مكان
في أرض الله ، لا يدخلونه إلا خاشعين متواضعين ، متذللين -
لله رب العالمين - حاسزي الرعوس ، متجردين عما اعتادوا
من لباس ، وعن زينة الحياة الدنيا ، وجعله حرماً آمناً لا يسفك
فيه دم ، ولا تعصده شجرة ، ولا ينفر له صيد ، ولا يختلى
خلاه ، ولا تلتقط لقطته إلا للتعريف لا التملك .

كما جعل الله حج البيت مكفراً لما سلف من الخطايا
والذنوب ، ما حيا للأدراة ولقد أقسم الله بهذا البلد (مكة) في
كتابه العزيز ، تعظيماً لشأنه في موضعين .. (لا أقسم بهذا

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٣ مهل أهل مكة وصحيح مسلم بشرح النووي مواقيت
الحج ج٨ ٣٨ والفتح الرباني ج١١ ص ١٠٥ وبالجملة فقد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو
داود وغيرهم .

البلد وأنت حل بهذا البلد(١) .. (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) (٢) ..
وجعل البيت الحرام قبلة لأهل الأرض جميعاً ، يتجهون إليها
في صلاتهم آزاء الليل والنهار .

ومكة أم القرى .. فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها ..
ومن خواص هذا البلد الحرام مضاعفة الثواب لمن أحسن ا
ومضاعفة العقاب لمن أساء فيه ، أو أراد به سوءاً أو همّ به قال
تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدُنْقُهُ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ) (٣)
إذ قد توعد الله من همّ فيه بِالْحَادِ - فضلاً عن فعله -
بالعذاب الأليم ، حيث عدى فعل الارادة في الآية بالباء ، لأنّه
ضمّنه معنى الهمّ فكأنه قال : (ومن يهم فيه بِالْحَادِ بظلم) ..

وللبيت الحرام أعلى درجات الإجلال والإعظام ، حيث شرفه
الله بالإضافة إليه في قوله تعالى : (وَطَهَّرَ بَيْتِي) فقد اقتضت
هذه الإضافة مزية وخصوصية لم تمنح لمكان آخر .

(أ) حرمة البيت وتحريم القتال وقطع الشجر في حرم البيت :
خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة ،
وكان مما قاله : (إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس ، لا يحل

(١) الآيتان الأوليان من سورة البلد .

(٢) الآية : ٣ من سورة التين .

(٣) من الآية ٢٥ من سورة الحج .

لامرىؑ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعصدها شجراً ، فإن أحد ترخص في قتال فيها فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم ياذن لكم ، وإنما أذن لى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس) . .

وقد أخذ عامة فقهاء المسلمين من هذا أنه لا يجوز القتال في مكة وما يتبعها من الحرم بهذا الأمر الصريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الفتح .

ولقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن « البغاة » يقاتلون في مكة وفي الحرم على بغيتهم إذا لم يمكن ردهم عن بغيتهم إلا بالقتال ذلك لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز إضعافها .

قال النووى : وما نقل عن الجمهور هو الصواب ، وقد نص عليه الشافعى فى كتاب « اختلاف الحديث » وأجاب الشافعى عما يمتنضيه ظاهر الأحاديث من منع القتال مطلقاً - بما يشمل البغاة - بأن القتال المقصود بالتحريم إنما هو نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم أدوات القتال الثقيلة المتنوعة ، إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك .

هذا : بينما ذهب بعض الفقهاء إلى أنه يحرم قتال البغاة

وإنما يُضَيَّقُ عليهم في كل الوجوه حتى يُضْطَرُّوا إلى الخروج من الحرم ، أو الرجوع إلى الطاعة (١) ...

كما بحث الفقهاء قتال المشركين والملحدين وإقامة الحدود في الحرم ، ودار حوارهم في كل ذلك على ما هو مبسوط في محله من كتب الفقه .

وروى الطبراني (٢) والأزرقي والبيهقي عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ستة لعنتهم وكل نبي مجاب الدعوة : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت ليدل من أعز الله ويعز من أذل الله ، والشارك لسنن ، والمستحل من عترتي ، والمستحل لحرمة الله ..)

وجملة ما ورد في حرمة مكة وحرمها يدل على أن الله تعالى هو الذي حرمها قال القرطبي (٣) : معنى الأحاديث السابقة أن الله تعالى حرم مكة ابتداء من غير سبب ينسب لأحد ، ولا لأحد فيه مدخل ، ولأجل هذا أكد النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا المعنى بقوله : (ولم يحرمها الناس) ..

(١) صحيح مسلم (كتاب الحج) شرح النووي ج ٣ ص ٢٨١ والأحكام السلطانية للماوردي ، وإعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ص ١٣٢ وما بعدها .

(٢) صحيح الترمذي ج ٢ كتاب القدر وما علق به عليه ، ومنه أنه روى من طرق أخرى عن عبد الله بن الحسين مرسلاً .

(٣) سهل الهدى والرشاد في سيرة خير البلاد للصالحى ج ١ ص - ٢٤٠ .

والمراد بهذه العبارة :! أن تحريمها ثابت بالشرع ولا مدخل للعقل فيه أو المراد : أنها من محرمات الله ، وليست من مخرمات الناس يعنى فى الجاهلية ، كما حرموا أشياء من عند أنفسهم فيجب امتثال ذلك ولا يسوغ الاجتهاد فى تركه .. وقيل : معناه أن حرمتها مستمرة من أول الخلق وليست مما اختصت به شريعة النبي — — صلى الله عليه وسلم .

(ب) تحريم الرفث والفسوق والجدال .. حال الإحرام بالنسك :

قال تعالى : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (١) ..

نقل القرطبي فى تفسيره أن الرفث « الجماع » فى قول كثير من الفقهاء ، وأن الجماع قبل الوقوف بعرفة مفسد للحج ، وعليه حج من قابل ، والمهدى ، ونقل ابن حزم فى المحلى أن تعمد الوطء فى الحج يبطله مطلقاً .

والفسوق فى أصح الأقوال : إتيان معاصى الله عز وجل فى حال إحرامه بالحج وهو مروى عن ابن عباس وعطاء والحسن وابن عمر وآخرين .

والجدال المنهى عنه قد تنوعت الأقوال فى تفسيره وأحراها بالقبول ما نقل عن ابن عباس وغيره أنه بمعنى

(١) من الآية : ١٩٧ من سورة البقرة .

المراء والملاحاة والخصومات ، ولا مراء فى أن الفسوق والجدال بالباطل من المحرمات فى الإسلام ، ولكن حرمتها فى الحج أشد أما الرفث بمعنى جماع الزوجة فى فترة الإحرام وقبل إتمام المناسك فتحريمه موقوف بحال الإحرام .

سدانة البيت الحرام :

لقد فصلت كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ أمر سدانة الكعبة المعظمة فى الإسلام ، بل ومنذ أن كانت الحجابة والسقاية والرفادة ، ولقد تضافرت رواياتها فى هذا : عن عثمان بن طلحة قال : كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الإثنين والخميس فأقبل النبى - صلى الله عليه وسلم - يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ، ثم قال : (يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت) فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذلت ، قال : (بل عمرت وعزت يومئذ) .. ودخل الكعبة ، فوَقعت كدته منى موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال .

فلما كان يوم الفتح قال : (يا عثمان اثنى بالمفتاح) فأتته به .. فأخذه منى .. وفتحت له الكعبة فدخلها وكبر فى جوانبها وصلى فيها ركعتين وأذن بلال فوقها ولما خرج رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - قام إليه على بن أبي طالب - رضي
ومفتاح الكعبة في يده فقال : «يا رسول الله اجمع
مع السقاية ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم :
ابن طلحة؟ فدعى له ، فقال : (هذا مفتاحك يا
يوم بر ووفاء) .. وقال : (خذوها يا بني شيبة
لا ينزعها منكم إلا ظالم) .. وفي لفظ : (خذها
أدفعها إليكم ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم
وأكّد ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم
يوم الفتح حيث جاء فيها : (ألا إن كل مأثرة
الجاهلية أودم أو مال يدعى فهو موضوع تحت
إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج فإني أمض
على ما كانت) (١) ..

١٠ وفي تفسير مجمع البيان (٢) لعلوم القرآن لقول
في سورة النساء (٣) : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَ

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري في باب دخول النبي صلى الله عليه و
وصحيح مسلم بشرح النووي في باب استحباب دخول الكعبة وسيرة النبي صلى الله عليه
والطبقات لابن سعد وجمع الفوائد وتفسير ابن كثير في تفسير سورة النساء «إن الله يأمركم أ
إلى أهلها» ..

(٢) للشيخ أبي الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الشيعة الإمامية الم
ج ٣ ص ١٢٠ و ١٢١ طبع ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م دار التقريب بالقاهرة .
[(٣) من الآية : ٥٨ .

أَهْلِيهَا) .. قال : قيل في المعنى بهذه الآية أقوال : ثم قال :
وثالثها : انه خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - برد مفتاح
الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة.

وفي تفسير ابن كثير لهذه الآية قال : قال ابن جرير نزلت
في عثمان بن طلحة قبض منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو
هذه الآية : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) ..
فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح ، وقال عمر بن الخطاب حين
خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الكعبة وهو يتلو
هذه الآية : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) -
فداه أبي وأمي - ما سمعته يتلوها قبل ذلك . وعن فقه هذه
الواقعة يقول الشيخ جاد الحق .

نقل النووي في شرحه على صحيح مسلم في باب استحباب
دخول الكعبة للحاج وغيره : (ودفع النبي - صلى الله عليه
وسلم - مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة الحنفي وإلى شيبه بن
عثمان ابن أبي طلحة وقال : (خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة)
لا ينزعها منكم إلا ظالم) .

ثم قال النووي : قال القاضي عياض : قال العلماء :

لا يجوز لأحد أن ينزعها منهم . قال : وهى ولاية لهم عليها من رسول الله صلى الله عليه وسلم - فتبقى دائمة لهم ولذرياتهم أئدا ولا ينازعون فيها ولا يشاركون ما داموا صالحين لذلك (١) ..

هذا : وما تزال ولاية البيت فى أيدى بنى شيبه إلى اليوم .. تنفيذاً لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

وينتهى شيخ الأزهر .. من هذا العرض لي طرح سؤالاً يشغل الرأى العام الإسلامى ويوجب عليه وهو .

لن الولاية على بيت الله الحرام ؟ :

يؤخذ من النقول السابقة أن الولاية على بيت الله الحرام قد خصت ببنى شيبه من أهل مكة ، لو بأمر صريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن خرج من الكعبة يوم الفتح وكان قد أخذ مفتاحها من عثمان بن طلحة وكان يتلو وهو خارج من الكعبة ما نزل عليه فى شأن هذه الولاية قول الله سبحانه فى سورة النساء (٢) **﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ... ﴾** .

وهذه الآية وإن اتفق العلماء على أن حكمها عام إلا أنها لافياً نزلت فى شأنه أكد ، ومن ثم جاءت رواية فى تسليم المفتاح

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج٣ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ فى كتاب الحج .

(٢) الآية : ٥٨ .

بلفظ : (خذها تالدة ، إني لم أدفعها لكم ، لكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلا ظالم...) (١) .

وإذا كان هذا هو حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مُبلغاً عن ربه ، فهل يجوز لأحد من المسلمين أن يدعوا إلى إدارة الحرمين الشريفين من قبل هيئة دولية تضم العلماء والممثلين الحقيقيين للمسلمين في العالم ؟ !

وتحت عنوان التنادى بتدويل إدارة الحرمين الشريفين أمر منكر شرعا :

يفند شيخ الأزهر دعوة تدويل إدارة الحرمين ويعتبرها من جانب الشرع أمراً منكراً غير فيقول : أن المسلمين قد أجمعوا منذ أن اكتمل الدين على أنهم أمة واحدة ، وان تغايروا في اللغة والحكومات أو أية مميزات قومية أو وطنية ، لأن وحدة الدين تعلو على كل هذه الفروق .

ومن ثم فإن الشعوب الإسلامية – وإن قامت بينها حدود إقليمية ، ونظم حكم مختلفة – أمة واحدة ما تزال تؤمن بطاعة الله ورسوله التي هي ولاية الإسلام العامة الواحدة .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري في موضع السابق

والإسلام بأصوله التي لاخلاف عليها - دين وجنسية بمصطلح العصر ، وإذا كان الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إمضاء لأمر الله في القرآن - قد أبقي الولاية على بيت الله الحرام كما كانت لبني شيبة ، تتوالى في ذرياتهم ، لاينزعها منهم إلا ظالم ، كانت المناداة بنزعها منهم أمراً منكراً وإثماً كبيراً لأنه عصيان لأمر الله ورسوله .

ومن ثم - يجب على الأمة الإسلامية - بعلمائها .. وحكامها . وكافة شعوبها .. أن تقف دونه وأن تنصح الله وارسوله باستمرار ما قضى به الله ورسوله .. استرشاداً بقول الله سبحانه في سورة الأحزاب : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (١) ..

لقد قضى الله ورسوله أن تظل حجابة الكعبة في بني شيبة وهم مكيون ، وهم - بهذا - القيمون على حرم هذا البيت لاينزع منهم ماداموا صالحين لها حسباً نقل النووى عن القاضي عياض . ومعيار هذه الصلاحية : حسن الإدارة والصيانة للبيت العتيق

(١) الآية : ٣٦ .

وخرمه الآمن ، وتجديد مرافقه ، وتوسعته ، وتيسير أداء المناسك لمن قصده حاجاً أو معتمراً وللعاكفين والركع السجود .

وهذا — بحمد الله — موفور ميسور مما يستوجب ثناء الأمة الإسلامية وتأييد المسلمين قاطبة لأولى الأمر في موطن الحرم فقد بذلوا ويبذلون مما أفاء الله عليهم من نعمه لإعزاز الكعبة الشريفة وحرما وزوارها ، لقد عبدوا الطرق ، وأقاموا الأنفاق والمعابر الموضلة إليها وإلى سائر المشاعر تيسيراً لأداء المناسك ، وهم يقيمون الدين بقدر ماوسعهم ، ولا يصدون عن المسجد الحرام ، ولا عن مسجد سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام .

وإذا كان الثابت أن حجابة البيت مستقرة منذ فتح الله مكة لرسولة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان حجبها هم أولئك الذين قال لهم الرسول : (خلوها تالدة ، إني لم أدفعها لكم ، ولكن الله دفعها إليكم ، ولا ينزعها منكم إلا ظالم) .. صار الواجب استمرار بقائها على هذا الوجه ولا يجوز نزع هذه الولاية الثابتة لهم بحكم الله ورسوله ، ومن ثم يكون التنادى بتدويل الولاية على الحرم إثمًا كبيراً ، لأنه تغيير لما وضع الله ورسوله بغير حق ولا سبب موجب ، ومن يفعل ذلك أويذع

إليه: «يَلْقَ أَثَامًا» ويكون ظالماً عاصياً لله ولرسوله : (وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)
(١) .. : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ..) (٢) .

التدويل في مفهوم القانون الدولي

ولا يكتفى شيخ الأزهر بحكم الشرع في مقولة تدويل إدارة
الحرمين .. بل يزيد فيعرض لرأى القانون الدولي في هذه
الفكرة فيقول :

إن فكرة التدويل فكرة حديثة - في نطاق فقه القانون
الدولي - إذ لم تمض على أول واقعة جربت فيها هذه الفكرة :
سوى قرابة قرنين من الزمان ، تلك هي واقعة تأسيس مدينة
كركاو - الحرة من أعمال بولندا في سنة ١٨١٥ م ، ثم تدويل
بعض أراضي الكونغو في سنة ١٨٨٥ ، ثم ما يخص إدارة
ألبانيا سنة ١٩١٢ ، ثم منطقة طنجة المغربية ، ثم مدينة
دانزج التي كان متنازعا عليها بين ألمانيا وبولندا بمعاهدة فرساي
في ٢٨-٦-١٨١٩ م ، وتريستا في إيطاليا ١٩٤٧ .

(١) الآية : ١٤ من سورة النساء . (٢) من الآية : ٣٦ من سورة الأحزاب .

ولكن هذه الفكرة وإن كانت من الناحية العملية أصبحت شائعة في العرف الدولي إلا أنها ما تزال من الناحية النظرية نظاماً جديداً على الفقه الدولي .

ومن ثم كان التدويل نظاماً استثنائياً ابتدعته الدول الكبرى أعضاء الحلف المقدس في القرن التاسع عشر ، وظهر في التطبيق عيوبه وآثامه .

بل إن فقهاء القانون الدولي العام يقولون : إن الواقعات التي طبق فيها هذا النظام أعطت الدليل والبرهان على أن المشاكل السياسية لا تحل بالتدويل ، سواء بسبب عجز السلطات التي تتولى جانباً من السيادة ، أو بالسماح بوجود فجوات في بناء السيادة نفسها بحيث يصبح اتخاذ القرار أمراً مستحيلاً .

ومما يؤكد عدم جدوى فكرة التدويل فشلها في شأن القدس حيث اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة توصية في ٢٩-١١-١٩٤٧ كان من بنودها - تدويل منطقة القدس على أن يعاد النظر في أمر التدويل بعد مضي عشر سنوات .

ومع هذا فقد كان تعقيب فقهاء القانون الدولي على هذه

التوصية بأنها لاتستند إلى أساس قانوني ، وبالرغم من هذا
لم تنفذ (١) ..

تلك الإمامة موجزة بما قاله الفقه الدولي العام في شأن التدويل ،
وعزوفه عن تأييده فضلاً عن الأخذ به لمخالفته لقواعد لا يمكن
الاتفاق على مخالفتها - في نظر هذا الفقه - وهي ذات صفة
آمرة يجب أن تطبق على الجميع ، ومنها قاعدة : حق تقرير
المصير ..

وبعد هذا : فليس لهذا التنادى بتدويل الحرمين الشريفين
- على ضآلة المنادين به - من سبب ولا سند في الإسلام ، وقد
نقلت كتب الصحاح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قد أقر الوضع القائم ، وأمر باستمراره ، ونهى نهياً باتاً عن
تغييره حسبما جاء في رواية البخاري (٢) ..

(هذا مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء .. وقال :
(خلوها يا بنى شيبة خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم)
وفي لفظ : (خلوها تالدة إني لم أدفعها إليكم .. ولكن الله دفعها
إليكم ، ولا ينزعها منكم إلا ظالم) ..

(١) يراجع في التدويل ومعناه وخصائصه : القانون الدولي العام في وقت السلم .. د- حامد سلطان
١٩٦٥ ص ١٠٢٥ ود- فؤاد شباط في الحقوق الدولية العامة ١٩٦١ ص ١١٨ ، ١١٩ و ١٢٥ و ١٢٦ -
د : عز الدين فودة - في قضية القدس في محيط العلاقات الدولية ١٩٦٩ ص ١٧١ ، ١٧٢ و ١٧٣ و ١٨٠ و
د - سالم يوسف في المركز القانوني لمدينة القدس ١٩٧٧ .
(٢) مرجع سابق .

وهذا نص أمر من الله ورسوله ، لا يسوغ لأحد مخالفته ، بل ولا مجرد اهم بهذه المخالفة ، فضلاً عن المنادة بها .

مكانة الحرم النبوي الشريف

وبعد أن ينتهى شيخ الأزهر من عرضه للموقف الإسلامى والقانونى من الحرم المكى وإدارته .. ينتقل إلى مكانة الحرم النبوى الشريف فيقول :

اتفق علماء المسلمين على استحباب زيارة مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصلاة فيه ، وأن يكون الزائر فى وقار وسكينة ، متطيباً متجملأ بأحسن الثياب وأنظفها ، وأن يدخل المسجد بالرجل اليمنى ، ويقول : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، باسم الله ، اللهم صل على محمد وآله وسلم ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك .

ويستحب أن يأتى الروضة الشريفة أولاً فيصلّى فيها تحية المسجد فى أدب وخشوع .

فإذا فرغ من الصلاة - أى تحية المسجد - اتجه إلى القبر الشريف مستقبلاً له ومستديراً القبلة فيسلم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائلاً : السلام عليك يا رسول الله ، السلام

عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه ، السلام عليك يا خير خلق الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين يا قائد الغر المحجلين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك عبده ورسوله ، وأمينه وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده ، ثم يتحرك إلى جهة يمينه فيسلم على أبي بكر - رضي الله عنه - ثم يتحرك كذلك إلى جهة اليمين فيسلم على عمر - رضي الله عنه - ثم يستقبل القبلة فيدعو لنفسه ولمن يحب ولاخوانه ولسائر المسلمين .

وعلى الزائر ألا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه ، ويستحب كثرة التعبد في الروضة الشريفة ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي) ..

وعن فضل المدينة المنورة :

فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الإيمان ليأرز إلى

المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها) .. وفي صحيح البخارى (١)
 بشرح فتح البارى باب حرم المدينة ، وساق حديث أنس رضى
 الله عنه عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : (المدينة حرم
 من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ، ولا يحدث فيها حدث ، من
 أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ..
 ثم ساق البخارى أحاديث أخرى فى هذا المعنى .

وفى صحيح مسلم (٢) بشرح النووى عن رافع بن خديج
 أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن إبراهيم
 عليه السلام حرم مكة ، وإني أحرم ما بين لابتيها) يريد المدينة .

وقد تحدث النووى وابن حجر فى شرحيهما هذين عن بيان
 حدود المدينة المعنية فى أحاديث الباب وأضافا أن تلك الأحاديث
 حجة للشافعى ومالك وموافقيهما على تحريم صيد المدينة وقطع
 شجرها - بلاضمان - على المشهور فى مذهبيهما ، وحجة على
 أبى حنيفة حيث أباح شجرها وصيدها .

والأحاديث الشريفة الواردة فى فضل المدينة تؤكد على
 حرمتها وعلى إقرار الأمن والأمان فيها .

(١) ج ٤ ص ٥٧ وما بعدها طبعة النصرية ١٣١٩ كتاب الحج .

(٢) ج ٣ ص ٢٨٦ كتاب الحج

فقه الإمامية (١) في آداب دخول مكة والمسجد الحرام :

في فروع الكافي عن أبيان بن تغلب قال : كنت مع أبي عبد الله - عليه السلام - زمالة فيما بين مكة والمدينة ، فلما انتهى إلى الحرم ، نزل واغتسل وأخذ نعليه بيديه ثم دخل الحرم حافياً ، فصنعت مثل ما صنع ، فقال يا أبا ن من صنع مثل ما رأيته توضعاً لله ، محاً الله عنه مائة ألف سيئة ، وكتب له مائة ألف حسنة ، وبني الله عز وجل له مائة ألف درجة ، وقضى له مائة ألف حاجة .

وفي المرجع ذاته عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال : إذا دخلت المسجد الحرام فادخله حافياً على السكينة والوقار والخشوع . وقال : ومن دخله بخشوع غفر الله له - إن شاء الله - قامت : ما الخشوع ؟ قال : السكينة لاتدخله بتكبر ، فإذا انتهيت إلى باب المسجد فقم وقل : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) . .

وفي نفس المصدر في الذكر والدعاء وقراءة القرآن في حالة الطواف : أن طواف الفرض لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بالدعاء

(١) فروع الكافي وعلل الشرائع ودعائم الإسلام ومن لا يحضره الفقيه والمختصر النافع نقلاً عن كتاب الحج في الكتاب والسنة وإصدار مركز الحج للدراسات والنشر الإيراني ح ١٤٠٧ هـ .

وذكر الله وقراءة القرآن ، أما الطواف النافلة فيلقى الرجل أخاه فيسلم عليه ويحدثه بالشئ من أمر الآخرة والدنيا ولا بأس في ذلك .

وفي المناقب أن زين العابدين - عليه السلام - رأى الحسن البصرى عند الحجر يقص فكان مما قال له : أفلله معاذ غير هذا البيت ؟ قال : لا ، قال : فلم تشغل الناس عن الطواف ، ثم مضى .

قال الحسن البصرى : ما دخل مسامعى مثل هذه الكلمات من أحد ، أتعرفون هذا الرجل ؟ قالوا : هذا زين العابدين ، فقال الحسن : ذرية بعضها من بعض .

وفي الفروع عن معاوية بن عمار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة : (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض وهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدى ولم تحل لي إلا ساعة من نهار) ..

وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر - عليه السلام - في قول الله سبحانه : (ومن دخله كان آمناً) قال : يَأْمَنُ فيه كل خائف مالم يكن عليه حد من حدود الله ينبغي أن يؤخذ به ، قلت : فيأمن من جازب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ؟

قال : هو مثل الذى نكر^(١) بالطريق ، فيأخذ الشاة أو الشيء فيصنع به الإمام ما شاء . قال : وسألته عن طائر يدخل الحرم ؟ قال : يؤخذ ولا يمس لأن الله يقول : (ومن دخله كان آمناً) ومثل هذا فى تفسير مجمع البيان^(٢) لعلوم القرآن للطبرسى من الإمامية .

وفى الخصال عن على - عليه السلام - فى حديث الأربعمائة قال : لاتخرجوا بالسيوف إلى الحرم ولا يصلين أحدكم وبهن يديه سيف فإن القبلة آمن .

وفى الفروع عن معاوية بن عمار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل^(٣) : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ) . قال : كل ظلم إلحاد وضرب الخادم فى غير ذنب من ذلك إلحاد .

وفى المصدر ذاته فى تفسير هذه الآية عن أبى عبد الله - عليه السلام - قال : كل ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإنى أراه إلحاداً .
وفى المصدر ذاته أيضاً عن معاوية بن عمار : سألت أبا

(١) نكر بالطريق (بمعنى ارتكب منكراً يعاقب عليه) . .

(٢) مصدر سابق . (٣) من الآية : ٢٥ من سورة الحج .

عبد الله - عليه السلام - عن رجل قتل رجلاً في الحل ثم دخل الحرم ؟ فقال : لا يقتل ولا يطعم ولا يستقى ولا يبايع ولا يؤوى حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد ، قلت : فما تقول في رجل قتل في الحرم أو سرق ، قال : يقام عليه الحد في الحرم صاغراً إنه لم يرد للحرمة حرمة . وقد قال الله تعالى : (فَلَا تُدْوَاْ عَلَيْهِمْ أَصَابًا) (١) .. وقال : (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) (٢) ..

وفي تفسير مجمع البيان للطبرسي (٣) : (ومن يرد فيه بالإلحاد بظلم) ... الإلحاد : العدول عن القصد ، واختلف في معناه ، ف قيل : هو الشرك وعبادة غير الله تعالى (عن قتادة) فكأنه قال : ومن يرد فيه ميلاً عن الحق بأن يعبد غير الله ظلماً وعدواناً ، وقيل : هو استحلال الحرام والركوب للآثام (عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد) وقيل : هو كل شيء نُهي عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم ، وقيل : هو دخول مكة بغير إحرام . (عن عطاء) : (تُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) أى : نعتبه عذاباً وجيعاً .

وفي الفروع : قال : أبو عبد الله عليه السلام - : وطن

(١) من الآية : ١٩٣ من سورة البقرة . (٢) من الآية : ١٩٤ من سورة البقرة .

(٣) ج ٧ ص ١٥٣ ، ١٥٤ مصدر سابق .

نفسك على حسن الضجاجة لمن صحبت في حسن خلقك ، وكف
لسانك ، واكظم غيظك ، وأقل لغوك ، وتفرس عقوك تسخو
نفسك .

وفي ذات المصدر قال أبو عبد الله - عليه السلام - : إذا
أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيراً وقلة الكلام إلا
بخير ، فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من
خير .. كما قال الله عز وجل (١) : (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ
فَلَا زَفَتْ وَلَا فَسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) .. وفي تفسير مجمع
البيان (٢) لعلوم القرآن للطبرسي في تفسير قول الله سبحانه (٣)
(فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْ أَنْاسِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ
ذِكْرًا) .. إن المعنى : إذا قضيت ما وجب عليكم من أفعال
فأذكروا الله .. واختلف في الذكر على قولين :

أحدهما : أن المراد به : التكبير المختص بأيام منى ،
لأنه الذكر المرغوب فيه المندوب إليه في هذه الأيام .
والآخر : أن المراد به سائر الأدعية في تلك المواطن لأن
الدعاء فيها أفضل من غيرها ...

(٢) ج ٢ ص ٧٢ ، ٧٣ .

(١) من الآية : ١٩٧ من سورة البقرة .

(٣) من الآية : ٢٠٠ من سورة البقرة .

(كذكركم آباءكم) معناه : ماروى عن أبي جعفر الباقر -
 - عليه السلام - أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج - يجتمعون
 هناك ويعدون مفاخر آباءهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة
 وآيادهم الجسيمة فأمروهم الله سبحانه أن يذكروه ، مكان
 ذكرهم آباءهم في هذه المواضع .

(أو أشد ذكراً) . أو يزيد على ذلك . بأن يذكروا . نعم . الله
 ويعدوا آلاءه ويشكروا نعماءه ، لأن آباءهم - وإن كان لهم
 عليهم آياد ونعم - فنعم الله عليهم أعظم ، وآياديه عندهم
 أفخم ، ولأنه المنعم بذلك المآثر والمفاخر على آباءهم وعليهم .
 هذا ، وفي حرمة المدينة جاء في كتب الإمامية سالفه الإشارة
 آثار منها ما جاء في دعائم الإسلام - عن علي عليه السلام أنه
 خطب الناس وقال في خطبته : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها
 حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
 لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) .. أى : توبة ولا فدية .

كما روى في هذه الكتب آثار ترغب في زيارة مسجد رسول
 الله ، صلى الله عليه وسلم - وتقرر أن هذه الزيارة مستحبة ، ومنها

نقول بالإجبار على أداء هذا المستحب كما تحدثت عن آداب الزيارة وعن الصلاة في الروضة بين المنبر والمقام .

هذا : وقد روى البخارى ومسلم وأبو داود عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) ..

وفي كتب الإمامية - المشار إليها - آثار عن هذه الأفضلية .. وكان لابد أن يحدثنا شيخ الأزهر من موقعه عن قضية البراءة من المشركين ، وإعلانها وزمنها ومحلها : وهي الشائعة التي يتناقلها البعض .. ويحاولون اقناع العديدين بها فقال متساءلاً :

هل يجوز القيام بمسيرات البراءة من المشركين في أيام الحج ؟ وفي الحرم المكي أو المدينى الشريفين ؟

وأجاب حين نعود إلى ما سبقت الإشارة إليه من نصوص القرآن الكريم والسنة والآثار المروية وكتب الإمامية وسائر أقوال المفسرين والمحدثين والفقهاء ، نجد أنهم قد تحدثوا عن فضل مكة وعن فضل الحرم وعن النهى عن حمل السلاح

بمكة إلا لضرورة ، وعن عدم حل القتال بمكة وعن عدم جواز
الذكر لغير الله تعالى سبحانه (١) ..

حين نعود إلى كل ما سبق :

نجد أن النصوص والآثار متضافرة على أن الحرم محل
سكينة ووقار ، وذكر لله سبحانه ، وتعظيم لشأنه ، وتلاوة
لكتابيه ، وصلاة وسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
في تواضع وحسن صحبة .

وهل نريد في هذا المقام أودح من قول الله سبحانه (٢) :
(فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)
وقوله : (٣) وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
وفي أقوال المفسرين والأئمة من آل البيت أن كل شيء نهى
عنه حتى شتم الخادم ينبغي أن ينزه الحرم عنه .

فهل مع هذا وبعده : يحل القيام بمسيرات بأي مسمى
كان ؟ !!

اللهم لا : نزولا ووقوفاً عند ما أحل الله ورسوله الذكر به

(١) أنظر على سبيل المثال ما سبق فتح الباري شرح صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٨٢ وص ٢٩١ وج ٤
١٤ وص ٣٣ وص ٤١ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ، ص ٢٨٤ وآيات القرآن والآثار المروية في
كتب الإمامية بالصفحات السابقة من هذا البحث .
(٢) من الآية : ١٩٧ من سورة البقرة . (٣) من الآية : ٢٥ من سورة الحج .

في هذه المواطن المباركة على وجه ما سبق منقولاً عن كتب التفسير والحديث وفقه المذاهب الثمانية .

بقى أمر البراءة من المشركين .. التي يتمسك بإعلانها الحجاج الإيرانيون في هذه الأيام ، فهل تدخل في الممنوع أو في المشروع ؟

لقد استعرضنا فيما سبق بعض النصوص من كتب مذهب الإمامية ، فلم نجد فيها أية إشارة إلى أن هذا من الذكر الذي أوجبه الله في مناسك الحج وفي حرمه .

بل وجدنا تحديداً دقيقاً لما يجب أن يذكر الله به والنهي حتى عن شتم الخادم ثم هل يحج المشركون البيت ويطوفون به ، حتى يسمعوا هذه البراءة ويشاهدوا هذه المسيرة أو المسيرات ؟

اللهم لا : فقد حرم الله أن يقرب المشركون المسجد الحرام .. أو أن يحجوا البيت منذ إعلانهم بما نزل من القرآن في هذا الشأن في أواخر سنة تسع من الهجرة .

وكان قد عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الإبلاغ للناس في موسم الحج إلى علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - حيث خطب الناس عند جمرة العقبة وغيرها من مواقع تجمع الحجاج وقال : (أيها الناس إني رسول الله إليكم بالألا يدخل

البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده إلى مدته ومن لاهده
له فله أربعة أشهر ، وتلا عليهم ثلاث عشرة آية من سورة براءة (١)
وهذا القدر متفق عليه بين علماء المذاهب الإسلامية جميعاً لأنه
مضمون نص القرآن .

وأوضح أن هذا البلاغ وذلك الأذان بهذه المنهيات ليست من
مناسك الحج في كل عام ، ومنذ إبلاغها للناس في ميقاتها
نفذت ولم يعد أحد يتنادى بها ، وإلا لو كانت هذه البراءة من
المشركين من مناسك الحج لنقلت إلينا ولتحدثت كتب السيرة
والسنة والتاريخ عنها .

ثم ألم يقل الله تعالى في سورة البقرة : (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ
الْقَتْلِ) (٢) ومن معاني الفتنة في اللغة الصد عن الدين . . وهذه !
المسيرات في الحرم صد عن دين الله وعبادته ، وشغل للحجاج
والمعتمرين عن الانصراف والاستغراق فيما قصدوا إليه من عبادة
الله في حرمه .

ألا : إن البراءة من المشركين والمفسدين ومن الصادين

(١) مجمع البيان في علوم القرآن للطبرسي ج ٨ ص ٨٠ وما بعدها .

(١) من الآية : ١٩١ .

عن ذكر الله وعن الصلاة ينبغي ألا تكون بمسيرات في حرم الله وقوفاً عند قول الله (١) : (فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَلِمَ ذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) ..

ثم ماذا عن مفهوم قول الله تعالى في سورة التوبة (٢) : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ..

هذه الآية جاءت عتاباً من الله سبحانه لنفر من المسلمين افتخروا بالسقاية وحجاجة بيت الله الحرام ، فأعلمهم الله أن الفخر الحقيقي لمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله فلا ينبغي أن تجعلوا أهل السقاية والعمارة في الفضل كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، ذلك أن الفئتين ليستا بمنزلة واحدة عند الله ، ومن ثم حكم الله في الآية التالية بأن الفئة التي سبقت إلى الإيمان والجهاد أعظم درجة عند الله وأنهم هم الفائزون .

وفي تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي الإمامي في سبب نزول هذه الآية وتفسيرها قال^(١) : (٣) أنزلت في علي -- ع

(٢) الآية : ١٩ .

(١) من الآية : ٢٠٠ من ذات السورة .

(٣) ج ٥ - ٢٨٥ - ٢٩ مصدر سابق .

عليه السلام - والعباس بن عبد المطلب - وطلحة بن شيبه -
وذلك أنهم افتخروا فقال طلحة : أنا صاحب البيت وببىدى
مفتاحه ولو أشاء بت فيه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية
والقائم عليها ، وقال على - عليه السلام - ما أدري ما تقولان
لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب
الجهاد ، (عن الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي) .

وقيل : إن عليا - عليه السلام - قال للعباس : يا عم :
ألا تهاجر وألا نلحق برسول الله ؟ فقال : أأست في أفضل من
الهجرة ؟ أعمار المسجد الحرام ، وأسقى حاج بيت الله ؟ فنزلت :
(أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ..) الآية ..
(عن ابن سيرين) ..

وبعد أن أورد آثاراً أخرى قال الطبرسي : (أجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) .. استفهام للإنكار
بمعنى لا تجعلوا هذا .. كذلك فإنه لامساواة بين الأمرين ، لأن
[الآية] الكريمة فضلت سبق الإيمان والجهاد في سبيل الله ومع
رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم - على من كانوا في وظائف
يملونها خدمة البيت الله وزواره ..
نعم : لا يستوون ..

وهل من تفاخر وتفاضل الآن وفي هذا العصر بين من يقومون على حجابة البيت الحرام وعمارته من الحجابة الذين استبقى الله ورسوله الحجابة لهم تالدة خالدة لا يأخذها منهم إلا ظالم ..

هل من تفاضل وتفاخر بين هؤلاء وأولى الأمر في موطن الحرم وبين غيرهم من شعوب الأمة الإسلامية ؟ وأين التفاخر بسبق الإيمان - الآن - بعد أن لحق أولئك برحاب الله ؟

اللهم إن ما قضى به القرآن الكريم هو الحق حيث بين في آياته شرف هذا البيت ، وشرف حرمه وفضله وحرمته وشرع الحج إليه عبادة له سبحانه فلا تفاخر فيه ولا تناحر .

جاء في تفسير العياشي عن أبان بن تغلب قال : قلت لأبي عبد الله - عليه السلام - : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) (١) قال : جعلها الله لدينهم ومعاشهم .

ففي الحج وحدة المسلمين وتعارفهم وتشاورهم وتعاونهم على البر والتقوى ، وتناسحهم في أمور الدين والدنيا ، إنه وفادة إلى الله عز وجل مستغفراً مما كان ؛ مستقبلاً لما يكون .

وفي نهج البلاغة في ذكر الحج :

(١) من الآية : ٩٧ من سورة المائدة .

وفرض عليكم حج بيته الحرام ، الذى جعله قبلة للأنام ،
وعلامة لتواضعهم لعظمته ، وإذعانهم لعزته ، واختار من خلقه
سماعاً أجابوا إليه دعوته ، وصدقوا كلمته ، ووقفوا مواقف
أنبيائه ، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه ، يحرزون الأرباح
فى متجر عبادته ، ويتبادرون عند موعد مغفرته ، جعله سبحانه
للإسلام علماً ، وللعاكفين حرماً ، فرض حجه .. وأوجب حقه
.. وكتب عليكم وفادته ..

فقال سبحانه : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (١) ..

تلك نماذج من آثار مأثورة فى حكمة شرعية الحج .. وما
فى مناسكه من شعائر واحدة .. يتساوى فيها كل المسلمين دون
تمايز بين شعب وشعب .. وفرد وفرد ، ليست فيه أية شعارات
ولا صور ولا ملصقات ، ليس فيه إلا ذكر الله وشكره ، واستغفاره
والإنابة إليه : (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ .. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) .

إن رفع أية شعارات .. أو المناداة باسم أى شخص ..
أو القيام بالمسيرات إنما هو صيد عن سبيل الله ، وعن شعائر الحج
التي فرضها .

(١) من الآية : ٩٧ سورة آل عمران ..

إن المسلمين أمة واحدة .. أجمعت على أن أمر الإسلام يعود إلى القرآن والسنة ، وإن تعددت المذاهب فهي اجتهادات مع وحدة القواعد والاصول فلا محل لتصدير المذاهب .. ولاتقبل المناداة بشعارات ليست من الإسلام ، كتدويل الحرمين .. فإن هذا مصطلح غريب على المسلمين بعد إذ قضى الله ورسوله في مسئوليتي الحرم والبيت الحرام ، وبالتالي في تنظيم الحج والقيام على شئونه ، إذ أن هذا لأصحاب الولاية على أمور البيت الحرام قضاء من الله ورسوله وطاعة لأمرهما .

(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (١)



(١) الآية ٥٣ من سورة التور

الباب
الثاني

كبيرة الكبائر

وعن مظاهر الإلحاد في المسجد الحرام يعرض فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية للعدوان على الحرم .. وأى مساس بآمن وأمان الحجاج فيقول :

١ - ان المتدبر فى آيات القرآن الكريم ، يراها قد اهتمت بالحديث عن المساجد بصفة عامة وعن المسجد الحرام بصفة خاصة .

ومن مظاهر الاهتمام أن القرآن الكريم قد نوه بعلو شأنها ، كما فى قوله تعالى « فى بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (١) كذلك من مظاهر هذا الاهتمام ، أن الله تعالى - قد بين أن هذه المساجد التى تقام فيها العبادات ، يجب أن تنسب

(١) سورة النور : الآيات : ٣٦ - ٣٨ .

إليه وحده ، وأن تنزهه عن أن يوجد فيها ما يتنافى مع دينه^(١) وشريعته فقال : «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» (١) .

وفي موضع ثالث نجد القرآن الكريم ، قد مدح الذين يحرصون على تعمیر المساجد ، عن طريق بنائها ، تنظيفها ، والتردد عليها لعبادة الله - تعالى - ، فقال - سبحانه - : «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ، فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» (٢)

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد قصرت تعمیر بيوت الله - تعالى - على المؤمنين الصادقين وأن هذه المناقب التي وصفهم الله - تعالى - بها ، كفيلة بأن توصلهم إلى رضوانه وجنته ، بفضل - سبحانه - ومشيئته.

وفي موطن رابع نرى القرآن الكريم يأمر كل مسلم عند توجهه لمسجد الله - تعالى - للصلاة أن يتخذ زينته من اللباس المأدب ، ومن اللباس المعنوي وهو التقوى . قال - تعالى - «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...» (٣) .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٨ .

(١) سورة الجن : الآية ١٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

وفى موضع خامس نجد القرآن الكريم ، ينهى المؤمنين عن مباشرة النساء فى حالة اعتكافهم فى المساجد فيقول سبحانه : « وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ » (١) . وذلك لأن الاعتكاف لون من العبادة ، والمساجد هى خير مكان للعبادة وهو لا يكون إلا فيها فيجب أن تكون منزهة عن شهوات النفس ، وعن مقاربة النساء فيها .

وفى موطن سادس نرى القرآن الكريم ، يتوعد الذين يسعون فى خراب مساجد الله بأشد ألوان الوعيد فى الدنيا والآخرة فيقول : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ، أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ . لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢) .

قال الإمام القرطبي : « وخراب المساجد قد يكون حقيقياً كتخريب بختنصر والرومان لبیت المقدس حيث قذفوا فيه القاذورات وهدموه ، ويكون مجازاً كمنع المشركين للمسلمين ، حين صدوا رسول الله - صلى الله عليه - وأصحابه ، عن المسجد الحرام .

وعلى الجملة : فتعطيل المساجد عن الصلاة ، وعن إظهار

١ (١) سورة البقرة الآية : ١٨٧ . (٢) سورة البقرة الآية : ١١٤ .

شعائر الإسلام فيها خراب لها» (١) .

والمعنى : لا أحد أظلم ممن حال بين المساجد وبين أن يعبد فيها الله - تعالى - وعمل على خرابها بطريق هدمها ، أو بطريق تعطيلها عن إقامة العبادة فيها .

قال صاحب الكشف : فكيف قيل : مساجد الله ، وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام ؟

قلت : لابس أن يجيء الحكم عاماً ، وإن كان السبب خاصاً ، كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً : ومن أظلم ممن آذى الصالحين ، كما قال - سبحانه - : «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّهُمَزَةٍ» والمنزول فيه هو الأخنس بن شريق» (٢) .

وقوله - سبحانه - : «أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ» بيان لما يجب أن يكون ، وسنكتفي في هذا البحث المحدود بإيراد بعض الآيات التي تحدثت بشيء من التفصيل عن المسجد الحرام .

ففي سورة الحج ، نجد حديثاً مستفيضاً في آيات متعددة عن مكانة المسجد الحرام ، وعن الأمر ببنائه ، وعن وجوب

(١) تفسير القرطبي : ج ٢ ص ٧٧ (٢) تفسير الكشف ج ١ ص ١٧٩ .

الحج إليه ، وعن المنافع التي تعود على الحجاج من وراء أداء هذه الفريضة ، وعن سوء مصير كل من يحاول الانحراف عن الطريق القويم فيه ، حتى ولو كان هذا الانحراف عن طريق النية السيئة فحسب .

وتبدأ هذه الآيات من سورة الحج ، بقوله - تعالى - :
 «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ، وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
 بِالْإِثْمِ يُضْلِمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ
 الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
 وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ...» (١) .

قال ابن عباس - رضى الله عنه - هذه الآيات نزلت في
 أبي سفيان بن حرب وأصحابه ، حين صدوا رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - عام الحديبية عن دخول المسجد الحرام ، ومنعوه
 من الحج أو العمرة ، فكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 قتالهم ، وكان محرماً بعمرة ، ثم صالحوه على أن يعود للعمرة
 في العام القادم .

والمعنى : ان الذين أصروا على كفرهم بما أنزله الله تعالى -

(١) سورة الحج : الآيات : ٢٥ - ٢٩

على نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، واستمروا على منع أهل الحق من أداء شعائر الله - تعالى - ، ومن الطواف بالمسجد الحرام ... إن هؤلاء الذين يفعلون ذلك ، سوف ينزل بهم الخزي في الدنيا ، والعذاب الشديد في الآخرة. قال الإمام القرطبي : وقوله - سبحانه - «والمسجد الحرام» : المقصود به المسجد نفسة ، وهو الظاهر لأنه لم يذكر غيره .

وقيل المراد به : الحرم كله ، لأن المشركين صدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه عنه عام الحديبية ، فنزل خارجاً عنه ...

وهذا صحيح ، لكنه - سبحانه - قصد هنا بالذكر الأهم وهو المسجد الحرام (١) وقوله - سبحانه : «الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد» تشریف لهذا المكان ، حيث جعل - سبحانه - الناس تحت سقفه سواء ، وتشنيع على الكافرين الذين صدوا الناس عنه .

أى : جعلنا هذا المسجد الحرام للناس على العموم ، يصلون فيه ، ويطوفون به ، ويحترمونه ، ويستوى تحت سقفه من كان مقيماً في جواره ، وملازماً للتردد عليه ، ومن كان زائراً له ،

| (١) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٢٣٠هـ

وطارئاً عليه من أهل البوادي ، أو من أهل البلاد الأخرى سوى مكة .

وقوله - سبحانه - : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عَذَابٍ أَلِيمٍ » تهديد شديد لكل من يحاول ارتكاب شيء في هذا المسجد الحرام .

والإلحاد : الميل . يقال : ألحد فلان في دين الله ، أى : مال وحاد عنه .

أى : ومن يرد في هذا المسجد الحرام لإلحاداً ، أى : ميلاً وحيدة عن أحكام الشريعة وآدابها ، بسبب ظلمه وخروجه عن طاعتنا ، نذقه من عذاب أليم لا يقادر قدره ، ولا يكتنه كنهه .

وقد جاء هذا التهديد في أقصى درجاته ، لأن القرآن الكريم قد توعّد بالعذاب الأليم كل من ينوى ويريد الميل فيه عن دين الله ، إذا كان الأمر كذلك ، فمن ينوى ويفعل يكون عقابه أشد ، ومصيره أقبح . ويدخل تحت هذا التهديد كل ميل عن الحق إلى الباطل ، كالنطق بالأقوال الباطلة كترويج المذاهب الناسدة ، والأفكار التى يقصد بها الدعاية لشخص معين ، أو لحزب معين ...

لأننا لو أبحنا ذلك في المسجد الحرام أو في الأماكن المقدسة

لأصبحت هذه الأماكن ساحة للدعائيات الشخصية أو الطائفية أو المذهبية ..

وهذه الأماكن أشرف وأسمى وأجل من أن تكون ساحة لأمثال هذه الشعارات التي لم يقصد بها وجه الله - تعالى - وإنما قصد بها المنافع الشخصية أو المذهبية ..

والله - تعالى - يقول «وَأَن الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» ولقد رجح الإمام ابن جرير أن المراد بالظلم هنا معناه العام ، فقال بعد أن ذكر جملة من الأقوال ، وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب^(١) :

القول الذي ذكرناه من أن المراد بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله - تعالى - وذلك لأن الله عمم بقوله : «ومن يرد فيه بالحاد بظلم» ولم يخص ظلماً دون ظلم في خبر ولا عقل ، فهو على حدومه . فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام : ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم ، فيعصى الله - تعالى - فيه ، نذقه يوم القيامة من عذاب موجه له^(١) .

ثم تحدثت السورة بعد ذلك عن بناء البيت الحرام ، وعن تطهيره ، فقال - تعالى - «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ

(١) تفسير ابن جرير ج ١٧ ص ١٠٥ .

أَن لَا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا .. » وقوله - سبحانه - «بوأنا» من التبوء
بمعنى النزول في المكان ، يقال : بوأ فلان فلانا منزلا ، -
إذا أسكنه فيه ، وهياه له ، وممكنه منه .

والمعنى : واذكر - أيها العاقل - لتتعظ وتعتبر ، وقت أن
هينأنا لنبينا ابراهيم - عليه السلام - مكان بيتنا الحرام
وأرشدناه إليه ، لكى يبنيه بأمرنا ، وأوصيناه بعدم الإشراك بنا
كما أوصيناه بأن يطهر هذا البيت من الأرجاس الحسية
والمعنوية ، الشاملة للكفر والبدع والضلالات والنجاسات ، كما
أمرناه بأن يجعله مهيا للطائفين به ، وللقائمين فيه لأداء
فريضة الصلاة .

قال الشوكاني : والمراد بالقائمين في قوله - تعالى - :
«وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ»
المراد بهم : المصلون .

وذكر «الركوع والسجود» بعده ، لبيان أركان الصلاة
وللدلالة على عظم شأن هذه العبادة . وقرن - سبحانه - الطواف
بالصلاة ، لأنهما لا يشرعان إلا في البيت الحرام ، إذ الطواف
لا يكون إلا من حوله ، والصلاة لا تكون إلا إليه^(١) .

هذا ، وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة ، أنه لا يجوز

(١) تفسير فتح القدير ج ٣ ص ٤٤٨ .

أن يترك عند بيت الله الحرام قدر من الأقدار ، ولا نجس من الأنجاس الحسية أو المعنوية ، فلا يترك فيه أحد يرتكب ما لا يرضى الله ، ولا أحد يلوّثه بقدر من النجاسات .

وبذلك نرى الآيات الكريمة قد توعدت كل من يصد الناس عن هذا البيت ، وكل من ينوى فيه سوءاً ، وبينت أن الله - تعالى - قد أمر نبيه إبراهيم - عليه السلام - بتطهيره من كل رجس حسى أو معنوى .

وفى سورة البقرة نجد آيات متعددة ، تحدثنا عن مكانة البيت الحرام ، وعن قصة بنائه ، وعن الدعوات الخاشعات التى كان إبراهيم - عليه السلام - يتضرع بها إلى الله - تعالى - عند رفع قواعد البيت الحرام .

ومن هذه الآيات قوله - تعالى - : وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ... (١) .

وقوله - سبحانه - (مَثَابَةً لِّلنَّاسِ) أى : مَرَجِعًا لِلنَّاسِ يرجعون إليه من كل جانب ، من ثاب القوم إلى المكان ، إذا

(١) سورة البقرة الآية ١٢٥ وما بعدها .

رجعوا إليه ، ولا ذوابه عند خوفهم ، ويصح أن يكون معناه : موضع ثواب لهم بسبب حجهم واعمارهم فيه .

والأمن : السلامة من الخوف ، وأمن المكان يتمثل في اطمئنان أهله ، وعدم خوفهم من أن ينالهم مكروه ، فالبيت مأمن ، أى : موضع أمن .

وأخبر - سبحانه - بأنه جعله أمناً ، ليدل على كثرة ما يقع فيه من الأمن ، حتى صار كأنه الأمن نفسه .

وكذلك صار البيت الحرام محفوظاً بالأمن من كل ناحية فقد كان الناس في الجاهلية يقتتلون ويعتدى بعضهم على بعض من حوله ، أما أهله فكانوا في أمان واطمئنان .

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في أكثر من آية ومن ذلك قوله - تعالى - « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ... » (١) .

وقد أقرت تعاليم الإسلام ، هذه الحرمة للبيت الحرام على وجه لا يضيع حقاً ، ولا يعطل حداً ، وزادت في تكريمه وتشريعه بأن جعلت الحج إليه فريضة على كل مستطيع لها . قال الإمام ابن كثير^{رحمته الله} عند تفسيره لهذه الآية الكريمة :

(١) سورة النكبات الآية ٦٧ .

«ومضمون ما فسر به العلماء هذه الآية ، أن الله - تعالى - يذكر شرف البيت ، وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدرأ ، من كونه مثابة للناس .

أى : جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح ، وتحن إليه ولا تنقضى منه وطرا ، ولو ترددت إليه فى كل عام ، استجابة من الله - تعالى - لدعاء خليله ابراهيم فى قوله (رَبَّنَا إِنى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتى بُوَادٍ غَيْرِ ذى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ) .

ويصفه - تعالى - بأنه جعله آمناً ، لأن من دخله أمن على نفسه .. فقد (كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فيه فلا يتعرض له ..) (١)

وقوله - سبحانه - : (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) أمر منه - تعالى - لعباده بعمل صالح يتقربون به إليه .

والاتخاذ هنا معناه الجعل . تقول : اتخذت فلاناً صديقاً لى أى : جعلته صديقاً لى ، والمقام فى اللغة : موضع القدمين : ومقام ابراهيم : هو الحجر الذى كان ابراهيم يقوم عليه عند

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٦٨ .

بناء الكعبة ، حين ارتفع الجدار ، وهو - على المشهور - تحت المصلى المعروف الآن بهذا الاسم .

ومعنى اتخاذ مصلى منه : القصد على الصلاة عنده ، فقد ورد في الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين .

ومن العلماء من فسر (مقام ابراهيم) بالمسجد الحرام ومنهم من أطلقه على الكعبة لأن ابراهيم - عليه السلام - كان يقوم عندها لعبادة الله تعالى .

قال الإمام ابن كثير : وقد كان هذا المقام أى الحجر الذى يسمى مقام ابراهيم - ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر ، على يمين الداخل من الباب فى البقعة المستقلة هناك .

وكان الخليل - عليه السلام - لما فرغ من بناء البيت قد وضعه على جانب جدار الكعبة .

ثم قال ابن كثير - رحمه الله - : وإنما أخره عن جدار الكعبة إلى موضعه الآن عمر - رضى الله عنه - ، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة(١) .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٧٠ .

ثم بين - سبحانه - ما أوحاه إلى إبراهيم عندما أمره
ببناء هذا المسجد الحرام فقال (وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) .

وأضاف - سبحانه - البيت إليه للتشريف والتكريم .

والتدبر في هذه الآية الكريمة يراها قد جمعت أصناف
العابدين في البيت الحرام :

وهم الطائفون : الذين يتقربون إلى الله - تعالى - بالطواف
حول البيت ، وإن لم يكونوا مقيمين من حوله كمن يأتون
من كل فج عميق لحج أو عمرة ثم ينصرفون راجعين إلى
بلادهم بعد أدائهم لهذه المناسك .

والعاكفون : وهم الذين يقيمون بالحرم ومن حوله ،
يقصد الإكثار من العبادة في المسجد الحرام .

والركع السجود : وهم المصلون الذين يتقربون إلى الله -
تعالى - بالصلوات ، سواء أكانت هذه الصلوات فرضاً أم نفلاً .

ثم ساق - سبحانه - بعد ذلك نماذج من الدعوات التي
تضرع بها إبراهيم إلى ربه خلال بنائه للبيت الحرام ، فقال
تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ، وَارْزُقْ

أَهْلُهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ، مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، قَالَ
وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ، ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ . وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ
عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

والتدبر في هذه الآيات الكريمة ، يرى فيها أسمى ألوان
التضرع ، وأزكى أنواع الدعاء ، وأعلى ألوان الدعاء .

فإن سيدنا إبراهيم يرجو من ربه في هذا الدعاء أن يجعل
الموضع الذي فيه بيته مكاناً يأنس إليه الناس ، ويأمنون
فيه من الخوف ، ويجدون فيه كل ما يبتغون من أمان واطمئنان
ثم هو في الدعوة الثانية التي تضرع بها إلى ربه يسأله
أن يرزق المؤمنين من أهل هذا البلد - وهو مكة - أن يرزقهم
من الثمرات ومن الخيرات ما يسد حاجتهم ويغنيهم عن
الاحتياج إلى غيره .

وخص إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم حرصاً على

شيوع الإيمان بين سكان مكة ، لأنهم إذا علموا أن دعوة
ابراهيم إنما هي خاصة بالمؤمنين ، تجنبوا ما يبعدهم عن
الإيمان ، ولأن في هذا الدعاء ما فيه من الأدب مع الله - تعالى -

وفي الدعوة الثالثة نرى سيدنا ابراهيم - عليه السلام -
يتضرع إليه - تعالى - ومعه ابنه اسماعيل ، بقولهما : ياربنا
تقبل منا أقوالنا وأعمالنا ، إنك أنت السميع لدعائنا
العليم بأحوالنا .

وتصدير الدعاء بنداؤه - سبحانه - باسم الرب المضاف
إلى ضميرهما ، مظهر من مظاهر خضوعهما له ، وإجلالهما
لمقامه ، والخضوع له - تعالى - وإجلال مقامه : من أسنى
الآداب التي تجعل الدعاء مستجاباً عنده - عز وجل - .

ونختم دعاءهما بذكر اسمين من أسمائه الحسنى ، ليؤكدوا
أن رجاءهما في استجابة الدعاء وثيق ، وأن ما عملاه من بنائهما
للمسجد الحرام جدير بالقبول ، لأن من كان سميعاً لدعاء
الداعين ، علياً بنيات العاملين ، كان تفضله باستجابة دعاء
المخلصين في طاعته غير بعيد ، فهو القائل : (إذا سألك عبادي
عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ،
وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون) .

وأما الدعوة الرابعة فقد تضمنت مجموعة من الدعوات الخاشعات ، التي توجه بها إبراهيم واسماعيل إلى ربهما ، فقد قالوا - كما حكى القرآن عنهما - (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك - أي : اجعلنا يا إلهنا مخلصين لك في عبادتنا ، واجعل من ذريتنا من يخلص لك العبادة والطاعة - .

(وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا) أي : وعلمنا شرائع ديننا تعليماً تاماً وافية (وَتَبَّ عَلَيْنَا) إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا (إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

ثم ختتما هذه الدعوات بدعوة فيها خيرهما وخير من جاء بعدهما في الدنيا والآخرة ، فقالوا : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ....)

أي ياربنا ونسألك كذلك أن تبعث في ذريتنا رسولا منهم ، يقرأ عليهم آياتك الدالة على وحدانيتك ويعلمهم كتابك بأن يبين لهم معانيه ، ويرشدهم إلى ما فيه من حكم ومواعظ وآداب كما يهديهم إلى الحكمة التي تتمثل في اتباع سنة نبيك - صلى الله عليه وسلم - ، والتي بها يتم التفقه في الدين ، ومعرفة أسرارته وحكمه ومقاصده ، والتي بها يكمل العلم بالكتاب ، إنك يا مولانا أنت العزيز الحكيم .

وقد جاء ترتيب هذه الجمل في أسمى درجات البلاغة والحكمه ،
لأن أول تبليغ الرسالة يكون بتلاوة القرآن ، ثم بتعليم معانيه ،
ثم بتعليم العلم النافع الذى تحصل به التزكية والتطهير من
كل مالا يليق التلبس به فى الظاهر أو الباطن .

ولقد حقق الله تعالى دعوة هذين النبيين الكريمين ، فأرسل
فى ذريتهما رسولا منهم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .
وصدق - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول : أنا دعوة أبى
ابراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمى التى رأت .

وفى سورة آل عمران آيتان كريمتان ، دلتا دلالة واضحة
على أفضلية المسجد الحرام على غيره من المساجد ، وهاتان
الآيتان هما قوله تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » (١) .

والمراد بالأدلة فى قوله تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ » : أنه أول
بيت وضعه الله تعالى لعبادته فى الأرض و« بكه » لغة فى مكة
عند الأكثرين . والباء والميم تعقب إحداهما الأخرى كثيراً
ومنه قولهم : النحيط والنبيط وهما اسم لموضع واحد وقيل هما

(١) سورة آل عمران : ٩٦ - ٩٧ .

متغايران : فبكة اسم لموضع المسجد ، ومكة : اسم للبلد بكاملها وأصل كلمة بكة من البك وهو التزاحم يقال : تباك القوم إذا تزاحموا ، وكأنها سميت بذلك لازدحام الحجيج فيها .
والبك أيضاً ذك العنق ، وكأنها سميت بذلك ، لأن الجبابة تندك أعناقهم إذا أرادوها بسوء .. والمعنى : إن أول بيت وضعه الله - تعالى - للناس في الأرض ليكون متعبداً لهم ، هو البيت الحرام الذي بمكة ، حيث يزدهم الناس أثناء طوافهم من حوله ، وقد أتوا إليه ماشين على أقدامهم ، أوراكبين على رواحلهم ، ومن كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ...
أخرجه الشيخان عن أبي ذر قال : قلت يارسول الله أى مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال المسجد الحرام . قلت ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة .

ثم قال : حيثما أدركتك الصلاة فصل ، والأرض لك مسجد .
قالوا : وقد أشكل فهم هذا الحديث على من لم يعرف المراد منه فقال : معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى ، والذي بنى المسجد الحرام هو إبراهيم وابنه إسماعيل ، وبينهما وبين سليمان أكثر من ألف سنة ، فكيف قال صلى الله عليه وسلم : إن بين المسجدين أربعين سنة ؟

والجواب : إن الوضع غير البناء فالذى أسس المسجد الأقصى ووضعه في الأرض بأمر من الله - تعالى - هو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم ، وبين إبراهيم ويعقوب هذه المدة التي جاءت في الحديث . أما سليمان فلم يكن مؤسساً للمسجد الأقصى أو واضحاً له ، وإنما كان مجدداً له ، فلا إشكال ولا منافاة . ثم مدح الله - تعالى - بيته بكونه « مباركاً » أي : كثير الخير دأبه ، من البركة وهي النماء والزيادة والدوام . أي : أن هذا البيت كثير الخير والنفع لمن حجه أو اعتمره أو اعتكف فيه ، أو طاف حوله ، بسبب مضاعفة الأجر وإجابة الدعاء وتكفير الذنوب لمن قصده بإيمان وإخلاص وطاعة الله رب العالمين . وأن هذا البيت في الوقت ذاته وفير بالبركات المادية والمعنوية .

فمن بركاته المادية : قدوم الناس إليه من مشارق الأرض ومن مغاربها ومعهم خيرات الأرض ، يقدمونها على سبيل تبادل المنفعة تارة ، وعلى سبيل الصدقة تارة أخرى ...
ومن بركاته المعنوية : أنه أكبر مكان لأكبر عبادة جامعة للمسلمين ، وهي فريضة الحج وإليه يتجه المسلمون في صلاتهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأماكنهم .

ثم مدحه - ثانياً - بأنه «هدى للعالمين» أى : هو بذاته مصدر هداية للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدتهم ، وفى استقباله توجيه للقلوب والعقول إلى الخير وإلى ما يوصلهم إلى رضا الله وجنته .

ثم مدحه - ثالثاً - بقوله «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» أى : فيه علامات ظاهرات ، ودلائل واضحات تدل على شرف منزلته ، وعلو مكانته . ثم بين - سبحانه - بعض هذه الآيات الدالة على عظمتة وشرفه . فقال : «مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» .

فالعلامة الأولى الدالة على عظم وشرف المسجد الحرام أنه «مقام إبراهيم» أى : المقام المعروف بهذا الاسم ، وهو الموضع الذى كان يقوم فيه إبراهيم تجاه الكعبة لعبادة الله - تعالى - ولإتمام بناء الكعبة . ومعنى أن البيت مقام إبراهيم أى : أنه فى فئائه ومتصل به . والعلامة الثانية التى تدل على فضل هذا البيت وشرفه آيينها - سبحانه - فى قوله : «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» أى : ومن التجأ إليه آمن من التعرض له بالأذى أو القتل .

ولاشك أن فى آمن من دخل هذا البيت أكبر آية على تعظيمه وعلى علو مكانته عند الله . ولقد وضع الإسلام لهذه الميزة

للبيت الحرام - وهى أمان من دخله - وضع لها من الضوابط والأحكام ما يجعل استعمالها فى الوجوه التى شرعها الله - عز وجل - .

فقد اتفق الفقهاء على أن من جنى فى الحرم جنابة فهو مأخوذ بها سواء أكانت فى النفس - أم فيما دونها .

واختلفوا فيمن جنى جنابة فى غير الحرم ، ثم لاذ إليه . فقال أبو حنيفة وابن حنبل إذا قتل القاتل فى غير الحرم ثم دخل الحرم لا يقتص منه ما دام فى الحرم ولكن لا يجالس ولا يعامل ولا يؤاكل إلى أن يخرج منه فيقتص منه . وإن كانت جنابته فيما دون النفس فى غير الحرم ثم دخل الحرم اقتص منه .

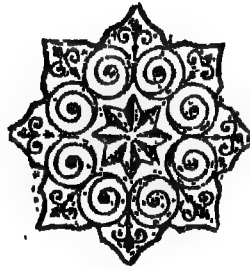
وقال مالك والشافعى : يقتص منه فى الحرم لذلك كله كما يقتص منه فى الحل . ومن هذا العرض نرى أن القرآن الكريم قد تحدث حديثاً مفصلاً عن البيت الحرام حديثاً يدل على علو شأن هذا البيت وعلى سمو مكانته .

حديثاً يدل على وجوب تطهيره من كل رجس سواء أكان حسياً أو معنوياً حديثاً يأمر فيه أمراً صريحاً بوجوب التوجه إليه عند الصلاة .

حديثاً يأمر فيه بتأديب الذين يسيئون إليه بأى لون من ألوان الإساءة ، وبمنعهم من دخوله . أو الاقتراب منه متى ثبت إصرارهم على باطلهم وعلى ضلالهم .

حديثاً يتوعد الله - تعالى - فيه كل من لا يحترم هذا البيت بسوء المصير فى الدنيا والآخرة .

ويعد الذين يدافعون عن حرماته ، وينزلونه المنزلة اللائقة به من التشريف والتكريم - بأجزل الثواب وأعلى الدرجات .



البَاب
الثالث

و .. عدم
مشروعية التدويل

وفى تفصيل أكبر وأشمل عما حدث فى موسم حج ١٤٠٧هـ
وما تلاه من دعوات غير شرعية فى بعض المؤتمرات التى تحمل
أردية إسلامية يذكر الشيخ محمد حسام الدين وبإسهاب
تاريخى وقانونى .. وشرعى لما حدث.. ولا قليل .. مفنداً كل
المزاعم التى ترى المسيرات جزءاً مكملًا للحج .. وأن تدويل
الحرمين أمر حتمى وقضية يجب أن تطرح فيقول :

حدثت أحداث بمكة فى موسم الحج الماضى عام ١٤٠٧هـ
تخل بأمن الحرم وتتعدى حدود ما شرع الله . وما ينبغى للحرم
من أمن وهيبة وتعظيم ..

ولقد أعقبت هذه الأحداث دعوة تنادى بتدويل الحرمين
الشريفين . مما اقتضى أن يطرح الموضوع للرأى فيه فى هذا المؤتمر .
ونحن إذا أردنا أن ننظر المسألة كان من المناسب أن ننظر
أولا ما يختص بالحرمين الشريفين من أحكام ، وما ينبغى
للإمام وللمسلمين أن يراعوه فى شأنهما . ثم ننتهى بعد ذلك إلى
النظر فى الدعوة التى تنادى بتدويل الحرمين .

حرمة الحرمين الشريفين

جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ، وجعل لها من حولها حرماً آمناً ، فكانت مكة حرماً بتحريم الله .

يقول سبحانه : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ » فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (١) .

فهذا شرع الأمان للبيت ، والأمان لمن دخل البيت ، والأمان ان أمه وقصده متنسكاً حاجاً متعبداً ..

يقول الله سبحانه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا » (٢) .

والآيات في هذا كثيرة تنص على تحريم البيت ، ومنعه مما يخل بالأمن فيه ، والحرم تبع للبيت في التحريم . يقول تعالى : « هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » (٣) . والمقصود وصدوكم عن المسجد وأماكن المناسك حوله ..

(١) الآيات ٩٦ ، ٩٧ من آل عمران . (٢) الآية ٢ من سورة المائدة .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الفتح .

ويقول عز وجل : «لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ» (١).

والمقصود لتدخلن الحرم مهلين بالمناسك ، ولتدخلن المسجد الحرام إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ . ويقول عز وجل : (وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (٢) .

فاستقبال البيت لمن رآه ، واستقبال الحرم لمن كان بعيداً عنه ، ولا يتحتم في الاستقبال عين المسجد الحرام وهو الكعبة . ولكن يكفي من كان بعيداً عنه أَنْ يولى وجهه نحو الحرم ، وهذا ما يتفق عليه الجمهور ..

من أجل هذا كان محرماً أشد التحريم إحداث عدوان أو فحش أو ظلم أو منكر بالحرم يقول الله عز شأنه : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ، وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِلْحَادِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ » (٣) .

وقد فسر الإلحاد هنا بالظلم في عمومته وهو شامل لكل جور أو حدث مستغرب على جو العبادة والحرم .

(٢) الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

(١) الآية ٢٧ من سورة الفتح .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الحج .

وقد جاء النص على تحريم مكة ، وتأمينها بقوله تعالى :
«وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينُ»^(١) .

ثم وردت الأحاديث الصحيحة مستفيضة في هذا الشأن :
حَدَّثَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ : «لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ،
وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفَرُوا ، فَإِنْ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ لَمْ
يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ
حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَعْصِدُ شَوْكُهُ ، وَلَا يَنْفِرُ صَيْدُهُ
وَلَا يَلْتَقِطُ لِقَطْعِهِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا ، وَلَا يَخْتَلِي خِلَافَهَا . قَالَ الْعَبَّاسُ -
يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِلَّا الْإِذْخَرُ فَإِنَّهُ لَقَيْنَهُمْ وَبَيْوتَهُمْ قَالَ : - قَالَ :
«إِلَّا الْإِذْخَرُ»^(٢) .

وعن أَبِي شَرِيحٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ
وَهُوَ يَبْعَثُ الْبَعُوثَ إِلَى مَكَّةَ : إِذْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَحْدَثُكَ
قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعْتَهُ
أُذْنًا ، وَوَعَاهُ قَلْبِي ، وَأَبْصَرْتَهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ ، حَمْدُ اللَّهِ
وَأَثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «إِنْ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يَحْرَمْهَا النَّاسُ

(٢) رواه الشيخان .

(١) الآية ٣ من سورة التين .

فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعصدها شجرة ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار . ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب .

ف قيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو؟ قال - قال : أنا أعلم منك يا أبا شريح « إن الحرم لا يعيد عاصياً ، ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بخربة^(١) خربة^(٢) : بلية » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

« إن الله حرم مكة فلن تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدى ... وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، لا يختلي خلها ، ولا يعصده شجرها ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف . وقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا قال إلا الإذخر ، وعن خالد عن عكرمة قال هل تدري مالا ينفر صيدها ؟ هو أن يُنَحِّيه من الظل ينزل مكانه »^(٣) .

(١) رواه الشيخان - والخربة ممناها العيب الذى ينفرده به الشخص

(٢) رواه البخارى .

وعلى هذا فإن حرمة الحرم المكي ثابتة بالقرآن والسنة وإجماع الأمة وهى بمثابة المعلوم من الدين بالضرورة ..
وأما تحريم المدينة فإنه ثابت بالأحاديث الصحيحة المستفيضة ..

روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال : « حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ما بين كذا إلى كذا ، فدن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » .

والحدث : الأمر الحادث المنكر أو الأمر النافر المعتدى ، على أمن الحرم وسكينته .

وفى رواية لهما : « أنه صلى الله عليه وسلم أقبل حتى بدا له أحد . فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، فلما أشرف على المدينة قال : اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة : اللهم بارك لهم في مَدِينِهِم وصاعهم » .

وروى الشيخان عن علي رضى الله عنه قال : « ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا القرآن وما فى هذه الصحيفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حرام ما بين غير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة

الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ،
 ذمة المسلمين واحدة ، يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً في
 ذمته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه
 صرف ولا عدل .

رواه الشيخان ، وأصحاب السنن ، وزاد أبو داود «لا يختلي
 خللاً ، ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا من أشادها ،
 ولا يصلح للرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ولا يقطع منها
 شجرة إلا أن يعلف الرجل بعيره» . .

وروى الشيخان أيضاً عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه
 عن النبي صلى الله عليه وسلم «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها ،
 وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مدها
 وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة» .

ولهما أيضاً حديث أنس رضى الله عنه عن عاصم قال :
 قلت لأنس : أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة ؟
 قال : نعم ما بين كذا إلى كذا ، لا يقطع شجرها ، من أحدث
 فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين - «قال
 عاصم فأخبرني موسى بن أنس أنه قال أو آوى محدثاً» . .

وحديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : لو رأيت .

الطباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما بين لابتيها حرام » .

هذه الأحاديث وغيرها من الصحيح المستفيض واضحة في
التحريم ، وقد قال ابن القيم عنها : فيها نصوص كثيرة رواها
بضعة وعشرون صحابياً وهي محكمة صريحة لا تحتمل إلا
وجهاً واحداً وهو أن المدينة حَرَمٌ يَحْرُمُ صيدها (١) .

كذلك وردت هذه الأحاديث عن طريق جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في نصوص
عديدة (٢) .

وجمهور الفقهاء على تحريم المدينة وإن جرى النقاش بينهم
حول تحريم الطير فيها ، أو إيجاب الفدية على من قطع من
شجرها شيئاً .

وقد ذكر الماوردي (٣) ما يختص به الحرم المكي من الأحكام
فقال : «والذى يختص به الحرم من الأحكام التى تباين بها
سائر البلاد خمسة أحكام : أحدها أن الحرم لا يدخله محل

(١) أعلام الموقعين : ج ٢ ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ طبعة مطبعة السعادة ١٩٦٩ .

(٢) دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام من أهل بيت رسول الله عليه وعليهم
أفضل الصلاة والسلام . للنعمان بن محمد بن حيون المغربي المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ج ١ ص ١٩٥ ط دار
المعارف سنة ١٩٨٥ .

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

قدم إليه حتى يحرم لدخوله إما بحج' أو بعمرة يتحلل بها من
إحرامه .

وقال أبو حنيفة يجوز أن يدخلها الحل إذا لم يرد حجاً
أو عمرة ، وفي قول النبي عليه الصلاة والسلام - حين دخل
مكة عام الفتح حلالاً : «أحلت لى ساعة من نهار ولم تحل لأحد
بعدي» ما يدل على وجوب الإحرام على داخلها ، إلا أن يكون
من يكثر الدخول إليها لمنافع أهلها كالخطابين والسقايين
الذين يخرجون منها غدوة ويعودون إليها عشية ، فيجوز لهم
دخولها محلين لدخول المشقة عليهم فى الإحرام كلما دخلوا فإن
علماء مكة أقروهم على دخولها محلين فخالفوا حكم من عداهم
فإن دخل القادم إليها حلالاً فقد أثم ولا قضاء عليه ولا دم ، لأن
القضاء متعذر فإنه إذا خرج للقضاء كان إحرامه الذى يستأنفه
مختصاً بدخوله الثانى فلم يصح أن يكون قضاء عن دخوله
الأول فتعذر القضاء وأعوز فسقط ، وأما الدم فلا يلزمه لأن
الدم يلزم جبران النسك ولا يلزم جبراناً لأصل النسك .

والحكم الثانى ألا يحارب أهلها لتحريم رسول الله صلى
الله عليه وسلم - قتالهم فإن بغوا على أهل العدل ، فقد ذهب
بعض الفقهاء إلى تحريم قتالهم مع بغيتهم ويفضيق عليهم حتى
يرجعوا من بغيتهم ويدخلوا فى أحكام أهل العدل . والذى عليه

أكثر الفقهاء أنهم يقاتلون على بغيهم إذا لم يمكن ردهم عن البغي إلا بقتال لأن قتال أهل البغي من حقوق الله تعالى التي لا يجوز أن تضاع ، ولأن تكون محفوظة في حرمة أولى من أن تكون مضاعة فيه .

فأما إقامة الحدود في الحرم فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنها تقام فيه على من أتاها ولا يمنع الحرم من إقامتها سواء أتاها في الحرم أو في الحل ثم لجأ إلى الحرم وقال أبو حنيفة إن أتاها في الحرم أقيمت فيه . وإن أتاها في الحل ثم لجأ إلى الحرم لم يقم عليه فيه وألجئ إلى الخروج منه فإذا خرج أقيمت عليه .

والحكم الثالث : تحريم صيده على المحرمين والمحلين من أهل الحرم ومن طراً إليه ، فإن أصاب في صيده وجب عليه إرساله . فإن تلف في يده ضمنه بالجزاء كالمحرم ، وهكذا لو رمى من الحرم صيداً في الحل ضمنه لأنه قاتل في الحرم . وهكذا لو رمى من الحل صيداً في الحرم ضمنه لأنه مقتول في الحرم . ولو صيد في الحل ثم أدخل الحرم كان حلالاً له عند الشافعي رحمه الله ، وحرام عليه عند أبي حنيفة . ولا يحرم قتل ما كان مؤذياً من السباع وحشرات الأرض .

والحكم الرابع : يحرم قطع شجره الذي أنبته الله - تعالى

ولا يحرم قطع ما غرسه الآدميون كما لا يحرم فيه ذبح الأنيس من الحيوان ، ولا يحرم رعى خلاله ، ويضمن ما قطعه من محظور شجره ، فيضمن الشجرة الكبيرة ببقرة ، والشجرة الصغيرة بشاة ، والغصن من كل واحد منهما يسقطه من ضمان أصله ، ولا يكون ما استخلف بعد قطع الأصل مسقطاً لضمان الأصل .

والحكم الخامس : أن ليس لجميع من خالف دين الإسلام من ذمي أو معاهد أن يدخل الحرم لأمقياً فيه ولا ماراً به وهذا مذهب الشافعي رحمه الله وأكثر الفقهاء . وجوز أبو حنيفة دخولهم إليه إذا لم يستوطنوه ، وفي قوله تعالى :

(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) (١) .

نص يمنع ما عداه ، فإن دخله مشرك عزز إن دخله بغير إذن ولم يستبح قتله وإن دخله بإذن يعزر وأنكر على الآذن له ، وعزر إن اقتضت حاله التعزير وأخرج منه المشرك آمناً ، وإذا أراد - مشرك دخول الحرم ليسلم فيه منع منه حتى يسلم قبل دخوله ، وإذا مات مشرك في الحرم حرم دفنه فيه ودفن في الحل ، فإن دفن في الحرم نقل إلى الحل إلا أن يكون قد بلى فيترك فيه كما تركت أموات الجاهلية .

(١) الآية ٢٨ التوبة :

وقال الماوردي في حرم المدينة :

إن لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجاز حرماً محظوراً ما بين لابتيتها يمنع من تنفير صيده وعصده شجره كحرم مكة . وأباحه أبو حنيفة وجعل المدينة كغيرها ، وفيما قدمناه من حديث أبي هريرة دليل على أن حرم المدينة محظور ، فإن قتل صيده وعصده شجره فقد قيل إن جزاءه سلب ثيابه ، وقيل تعزيره» (١) .

وقال أبو يعلى (٢) :

«فأما الحرم فهو ما طاف بمكة من جوانبها ..» .

وحده من طريق المدينة دون التنعيم ، عند بيوت بني غنار ، على ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق : على ثنية جبل بالمنقطع على سبعة أميال ، ومن طريق الجعرانة : في شعب أبي عبد الله ابن خالد على تسعة أميال ، ومن طريق الطائف على عرفة من عطن نمره على سبعة أميال ، ومن طريق جدة : منقطع العشائر ، على عشرة أميال .

فهذا حد ما جعله الله حراماً لما اختص به من التحريم
فإن يابن بحاكمه سائر البلاد قال الله تعالى :

(١) الأحكام السلطانية ص ١٦٦ - ١٦٨ الطبعة الثالثة مصطفى الحلبي ، د. هـ .
(٢) القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبل المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) (١) يعنى مكة وحرمها .

وقد اختلف فى مكة وما حولها ، هل صارت حراماً بسؤال إبراهيم ، أو كانت قبله كذلك ؟ فمن الناس من قال : لم تنزل حراماً آمناً من الجبابرة المسلمين ، ومن الخسوف والزلازل وإنما سأل إبراهيم ربه أن يجعله آمناً من الجذب والقحط وأن يرزق أهله من كل الثمرات .

وهذا ظاهر كلام أحمد فى رواية الأثرم ، وقد سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « مكة أحلت لى ساعة من نهار ولم تحل لأحد قبلى » ما وجهه ؟ قال : « وجهه : أنها كانت حراماً ولم تنزل » . فقد نص على أنها لم تنزل حراماً .

والوجه فيه ما روى سعيد بن أبى سعيد - يعنى المقبرى - قال : سمعت أبا شريح الخزاعى يقول « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما افتتح مكة قام خطيباً ، فقال : يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام إلى يوم القيامة ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، أو يعصدها شجراً ، ألا وإنها لا تحل لأحد بعدى ولم تحل لى إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، إلا وهى قد رجعت على

(١) سورة البقرة الآية (١٢٦) .

حالمها بالأمس ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فمن قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل بها ، فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك .

ومن الناس من قال : إن مكة كانت حلالاً قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد ، وأنها صارت بدعوته حرماً آمناً ، حين حرّمها كما صارت المدينة بتحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم حرماً بعد أن كانت حلالاً ، لما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إبراهيم كان عبداً لله وخليلاً ، وإنى عبد الله ورسوله ، وإن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ما بين لابتيها : عضاهها وصيدها . لا يحمل فيها السلاح لقتال . ولا يقطع فيها شجر إلا لعلف بعير .

والذى يختصر به الحرم من الأحكام التى تباين سائر البلاد خمسة أحكام :

أحدها : ألا يدخله محل قدم إليه حتى يحرم لدخوله إما بحج أو بعمرة يتحلل بها من إحرامه . إلا أن يكون ممن يكسر الدخول إليها لمنافع أهلها ، كالحطابين ، والسقايين الذين يخرجون منها غدوة ويعودون إليها عشاء فيجوز لهم دخولها محلين ، لدخول المشقة عليهم فى الإحرام إذا دخلوا ..

فإن دخل القادم إليها حلالاً فقد أثم ولزمه إحرام على وجه القضاء .

فإن أدى به حجة الإسلام في سنته سقط عنه . وإن أخره إلى السنة الثانية لم يجزه عن حجة الإسلام ، ولزمه حجة أو عمرة .. قال في رواية حرب : فيمن قدم من بلد بعيد تاجراً فدخل مكة بغير إحرام «يرجع إلى الميقات فيهل بعمرة إن كان في غير أيام الحج ، وإن كان في أيام الحج أهل بحجة .

والوجه فيه : أنه إذا أراد دخولها لزمه أن يحرم ، فإذا لم يحرم فقد ترك إحراماً قد لزمه ، فعليه أن يأتي به ، كما لو قال : «لله على إحرام» وتركه فإنه يلزمه الإتيان به .

فإن قيل : إذا خرج للقضاء كان إحرامه الذي يستأنفه مختصاً بدخوله الثاني ، فلم يصح أن يكون قضاء عن دخوله الأول ، فيتعذر القضاء .

قيل : إذا خرج للقضاء وحصل في الميقات لزمه أن يتجاوز به إلى مكة محرماً . فإذا فعل ذلك لم يلزمه معنى آخر . ومثل هذا ما نقوله جميعاً لو أحرم بحجة الإسلام أو المنذورة صح «ولا نقول : قد لزمه بالدخول إحرام . وحجة الإسلام لازمة بالشرع ، فيؤدى إلى تعذر الواجب .

ولادم عليه على ظاهر مانقله حرب عنه ، لأنه قد أتى
بالواجب .

الحكم الثاني :

أن لا يحارب أهلها ، لتحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتالهم بقوله « لا يحل لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر
أن يسفك بها دمًا » .

فإن بغوا على أهل العدل قاتلهم على بغيتهم إذا لم يمكن ردهم
عن البغي إلا بالقتال فإن قتال أهل البغي من حقوق الله التي
لا يجوز أن تضاع ، وكونها محفوظة في حرمة أولى من أن تكون
مضاعفة فيه .

فأما إقامة الحدود في الحرم فينظر . فإن أتاها في الحرم
أقيمت عليه فيه . وإن أتاها في الحل ثم لجأ إلى الحرم لم
يقم عليه فيه وألجئ إلى الخروج منه بترك مبايعته ومشاراته
وإذا خرج أقيمت عليه .

الحكم الثالث :

تحريم صيده على المحرمين والمحلين من أهل الحرم ومن
طراً عليه .

فمن أصاب من صيده وجب عليه إرساله . فإن تلف في يده

ضمنه بالجزاء المحرم وهكذا لورمى من الحرم صيداً في الحل
ضمنه ، لأنه قاتل في الحرم . ونقل ابن مسور عنه لا يضمنه
وهكذا لورمى من الحل صيداً في الحرم ضمنه لأنه مقتول في
الحرم .

ولو صيد في الحل وأدخل الحرم فهو حرام عليه ويلزمه إرساله
في الحرم .

ولا يحرم في الحرم قتل ما كان مؤذياً من السباع وحشرات
الأرض .

الحكم الرابع :

تحريم قطع الشجر الذى أنبته الله تعالى فيه . ولا يحرم
قطع ما غرسه الآدميون ، كما لا يحرم فيه ذبح الأنيس من
الحيوان .

ولا يجوز أن يرعى حشيش الحرم قال في رواية الفضل
« لا يحتش من حشيش الحرم » .

ويضمن الشجرة الكبيرة ببقرة ، والصغيرة بشاة والغصن
من واحدة منها يسقط من ضمان أصلها . ولا يكون ما استخلف
من قطع الأصل لضمان الأصل .

الحكم الخامس :

أن يمنع من خالف دين الإسلام من ذمى أو معاهد أن يدخل الحرم ، لأمقيماً ولأماراً . قال في رواية ابن منصور « ليس لليهودى والنصرانى أن يدخل الحرم » فقد منع منه .

فإن دخله مشرك عزز إذا دخله بغير إذن ولم يستبح به قتله ، فإن دخله بإذن لم يعزر وأنكر على الآذن له ولم يستبح به قتله ، وعزر إن اقتضت حاله التعزير ، وأخرج منه المشرك وإن أراد مشرك دخول الحرم ليسلم فيه منع منه حتى يسلم قبل دخوله .

وإذا مات مشرك في الحرم حرم دفنه فيه^{١٦} ، ودفن في الحل . فإن دفن في الحرم نقل إلى الحل ، إلا أن يكون قد بلى فيتترك كما ترك فيه أموات الجاهلية .

قال أحمد في رواية أبي طالب « فضلت مكة بغير شيء : يصلى فيها أى ساعة شاء من ليل أو نهار ، ولا يقطع الصلاة فيها شيء ، تمر المرأة بين يدي الرجل ، ومن دخله كان آمناً ، والصيد » . فأما سائر المساجد فهل يجوز أن يؤذن لهم في دخولها ؟ على روايتين ، إحداهما : جواز ذلك ، مالم يقصدوا بالدخول استبدالها بأكل ونوم ، فإن قصدوا ذلك منعوا .

والثانية : لايجوز أن يؤذن لهم بحال ..

وقال أبو يعلى في حرم المدينة : إن لمدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - حرماً محظوراً من لابتيتها يمنع من تنفير صيده وعضد شجره ، كحرمة مكة (١) .

وقد أبلغ الزركشى (٢) خصائص مكة إلى مائة وأربع وعشرين خصيصة ..

وأبلغ خصائص المدينة إلى أربعين خصيصة ..

لقد تحدث عن خصائص البيت الحرام وخصائص مكة . فقال : هي أجل من أن تحصى وأعظم من أن تستقصى ، وذكر منها مايلي :

أنه أول بيت وضع على الأرض ..

وأن إحياء الكعبة بالحج في كل سنة من فروض الكفايات ..

ونقل عن الرافعي قوله : « وينبغي أن تكون العمرة كالحج ،

بل الاعتكاف والصلاة في المسجد الحرام ، فإن التعظيم وإحياء

البقعة يحصل بجميع ذلك » .

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٩١ - ١٩٧ ط مصطفى الحلبي ١٩٦٦ .

(٢) الإمام محمد بن بهادر المعروف ببدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ وهو أحد فقهاء الشافعية وأعيانهم .

— أن من صلى في بناء منفصل عن المسجد مقتدياً بإمام المسجد لم يصح اقتداؤه لعدم اتصال الصفوف ، وأما في المسجد الحرام ، فلو صلى على جبل الصفا أو المروة أو أبي قبيس مقتدياً بصلاة الإمام في المسجد الحرام ، قال الشافعي رضي الله عنه : يجوز لأن كل ذلك متصل وهو في حكم العرف غير منقطع .

— قال ابن القاص^(١) : من صلى بالاجتهاد فأخطأ إلى الحرم جاز لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : البيت قبله لأهل المسجد ، والمسجد لأهل الحرم ، والحرم لأهل مشارق الأرض ومغاربها . .

والحديث أخرجه البيهقي في سننه من حديث عمر بن حفص المكي عن أبي جريح عن عطاء عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : البيت قبله لأهل المسجد ، والمسجد قبله لأهل الحرم ، والحرم قبله لأهل الأرض . قال البيهقي : تفرد به عمر بن حفص ، وهو ضعيف يحتج به والحمل فيه عليه .

— أن صلاة النفل في البيت أفضل من فعله في المسجد لما فيه من

(١) هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص المتوفى سنة ٢٣٥ هـ له مصنفات كثيرة منها التلخيص وأدب القاضي على مذهب الإمام الشافعي .

الخلوص والبعد عن الرياء لكن هل يأتي مثل ذلك في المسجد
الحرام ؟

— الظاهر نعم : إذا قلنا : إن حرم مكة كمسجدها في المضائق
كما جزم به الماوردي والنووي .

أن الصلاة يحرم فعلها في الأوقات الخمسة ، عند طلوع
الشمس حتى ترتفع قيد رمح ، وعند الاستواء حتى تزول ،
وعند الاصفرار حتى تغرب ، وبعد صلاة الصبح إلى الطلوع
وبعد صلاة العصر إلى الغروب ، لما في الصحيح من النهي عن
ذلك ، ويستثنى حرم مكة .

— ففي السنن الأربعة من حديث جبير بن مطعم : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : يا بني عبد مناف ، لا تمنعوا أحداً
طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار . وقال
الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . .

وفي رواية : لا صلاة بعد الصبح إلا بمكة ، والمراد جميع
الحرم — والمعنى زيادة الفضل في تلك الأماكن .

أن الطواف تحية البيت يجوز فعله في هذه الأوقات أيضاً
للحديث السابق وهو قول الشافعي وأحمد وإسحق وداود وجمهور
العلماء . وبه قالت الصحابة كما سبق ، وسعيد بن جبيرة
ومجاهد وغيرهم ، ومنعه أبو حنيفة . .

والتحيات خمس :

- تحية المسجد بالصلاة .
- تحية البيت بالطواف .
- تحية الحرم بالإحرام بالحج والعمرة .
- تحية منى بالرمى .
- تحية المسجد بالنسبة إلى الخطيب يوم الجمعة الخطبة .

قاله النووي في نكت التنبيه :

- أن الدعاء عند رؤية الكعبة مستجاب .
- وأن الدعاء في حرم مكة مستجاب . ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ١١ دعا النبي صلى الله عليه وسلم على قريش شق عليهم وكانوا يرون أن الدعوة في تلك مستجابة . .
- أن الثواب يرتب على مجرد النظر إلى الكعبة .
- أنه يستحب الغسل لدخول الكعبة .
- ويستحب الغسل لدخول الحرم .
- ويستحب الغسل لدخول مكة ففي الصحيحين عن ابن عمر :
- أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذى طوى حتى يصبح ويغتسل .
- ثم يدخل مكة نهراً ، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه فعل ذلك ، ولا فرق بين أن يكون الداخل محرماً أو حلالاً
ومسألة الحلال النقل فيها عزيز صرح بها الشافعي في الأم .

— أن صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما
سواه من المساجد لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة في مسجدي أفضل
من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » .

وما رواه أحمد وغيره بسنده قال — قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة في غيره ،
وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا

— أن حرم مكة كالمسجد الحرام في المضاعفة المذكورة جزم به
الماوردي وتبعه النووي ونقله صاحب البيان عن الشريف
العثماني . وهو بناء على أن المسجد الحرام في هذا
الخبر ، المراد به جميع الحرم .

قال النووي : المراد به جميع الحرم وعرفة ، وقال : سألت
الشريف العثماني : ما المراد بالمسجد الحرام في هذا الخبر ؟ فقال :
« المراد به الكعبة والمسجد حولها بقاع الحرم » . .

— أن التضعيف لا يختص بالصلاة بل وسائر أنواع الدعايات

كذلك قياساً على ما ثبت في والنظر إلى الكعبة فألحق به ما في معناه من أعمال البر .

— ذهب جماعة من العلماء إلى أن السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات . .

قال ذلك مجاهد وابن عباس وأحمد بن حنبل وابن مسعود وغيرهم لتعظيم البلد وسئل ابن عباس عن مقامه بغير مكة فقال : مالى وبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات ؟ فحمل ذلك منه على مضاعفة السيئات بالحرم .

— العقاب على الهم فيه بالسيئات وإن لم يفعلها . قال تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ^(١)) .

ولهذا عدى فعل الإرادة بالباء ولا يقال : أردت بكذا ، لما ضمنه معنى يهيم ، فإنه يقال : بكذا . وهذا مستثنى من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها . كل ذلك تعظيماً لحرمة وكذلك فعل الله سبحانه بأصحاب الفيل ، أهلكهم قبل الوصول إلى بيته . وقال أحمد بن حنبل : لو أن رجلاً هم أن يقتل في الحرم أذقه الله من العذاب الأليم ثم قرأ الآية وقال ابن مسعود : لا بلد يؤخذ العبد فيه بالهم قبل الفعل إلا مكة . وتلا هذه الآية ..

(١) ٢٥ من سورة الحج .

– يجوز إخراج ماء زمزم وغيره من مياه الحرم ، ونقله إلى جميع البلدان ، لأن الماء ، بخلاف نقل التراب والحجر . وكانت عائشة رضى الله عنها تحمل ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – كان يحمله .

رواه الترمذى وقال : حسن ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد . قال فى شرح المذهب : يجوز نقله للتبرك ..

– يحرم نقل تراب الحرم وأحجاره عنه ، وسواء فى ذلك تراب نفس مكة وما حوالىها من جميع الجهات .

– يجوز ستر الكعبة بالحرير ، لأن ذلك محرم على الرجال فقط . وقال الغزالى فى فتاويه لابأس بتحلية المصحف بالذهب وتزيين الكعبة بالذهب والحرير ما لم ينسب إلى الإسراف .

هذا كله فى لباس الكعبة ، وأما غيرها . فى زوائد الروضة عن الشيخ أبى نصر المقدسى : البيوت ، أى تزيينها بالقباب المصورة وغيرها من الحرير وغيره حرام ..

قال النووى : لكن الصواب فى غير الحرير والمصورة . الكراهة دون التحريم .

– بيع أشجار الحرم حرام باطل . قال القفال : إلا أن يقطع شيئاً يسيراً للدواء فيجوز بيعه حينئذ .

— أصبح قولى الشافعى : أن لقطة مكة وحرمة لايجوز أخذها
للمليك ، وإنما تؤخذ للحفظ والتعريف بخلاف سائر البلاد ،
وهو قول عبد الرحمن بن مهدي وأبي عبيد لما روى عن
ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
فتح مكة : « إن هذا البلد لايعضد شوكة ، ولاينفر صيده ،
ولايتلقت لقطته إلا من عرفها » ومعلوم أن لقطة كل بلد
ولو كان كغيره لم يكن لتخصيصه بهذا الذكر معنى
وفى مسند أحمد عن عبد الرحمن بن أمان أنه صلى الله عليه
وسلم نهى عن لقطة الحاج .

— أن صيد الحرم حرام على الحلال والمحرم بالإجماع ، ولقوله
صلى الله عليه وسلم : لاينفر صيدها ، ونبه بالتنفير على
الإتلاف ، لأنه إذا حرم التنفير ، فالإتلاف بالأولى . وهو
خلافاً لداود الظاهرى .

— أن قطع شجرة وحشية حرام على الحلال والمحرم لقوله
صلى الله عليه وسلم : ولايعضد شجرها ..
أما المستنبت بالنسبة إلى غير الشجر كالحنطة والشعير ،
وسائر الخضروات فيجوز قطعه وقلعه بلاخلاف .

— إذا احتيج إليه للدواء فالأصح لايجرم قطعه ، لأن الحاجة
إليه أهم من الحاجة إلى الإذخر .

يحرم القتال بمكة لقوله صلى الله عليه وسلم : إنها لم تحل
لى إلا ساعة من نهار وهذه مسألة أهل العصر الأول . ففي
الصحيحين :

أن عمرو بن سعيد لما أراد بعث الناس إلى مكة لقتال ابن
الزبير ، قال له أبو شريح : أحدثك حديثاً سمعته أذنأى
ووعاه قلبي ، إنه صلى الله عليه وسلم قال : إن مكة حرمها الله ، ولم
يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر
أن يسفك بها دمأ ، ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال
رسول الله فيها فقولوا : إن الله عز وجل أذن لرسوله ولم يأذن لكم .
ولنأ أذن لى فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها
بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب . فقال عمرو بن سعيد : أنا أعلم
منك يا أبا شريح : إن مكة لاتعيد عاصياً ، ولا فارأ بدم .

— ذهب جماعة من العلماء إلى تحريم قتال البغاة فيه . بل
يضيق عليهم إلى أن يخرجوا أو يفيئوا . واختاره القفال من
أصحابنا وعد من جملة ما يخص النبي صلى الله عليه وسلم :
جواز القتال له فى حرم مكة ، ولكن الصحيح من المذهب
المنصوص الجواز .

وقال جمهور الفقهاء : يقاتلون على بغيتهم إذا لم يمكن ردهم
عن البغى إلا بالقتال لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى

لا يجوز إضاعتها ، فحفظها في الحرم أولى من إضاعتها . وما نقله عن الجمهور نص عليه الشافعي في كتاب اختلاف الحديث وفي سير الواقدي من الأم^(١) .

— من وجب عليه حد أو قتل بقصاص أو رجم بالزنا وغيره ، قالتجاً إلى الحرم : ففيه للعلماء ثلاثة أقوال .

إحداها :

أنه آمن مادام في الحرم لقوله تعالى : «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» ولقوله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً . ولكن يضيق عليه ولا يكلم ، ولا يطعم ، ولا يعامل حتى يخرج فيقتل أو يستوفي منه قصاص الطرف^(٢) . أو الحد إلا أن ينشئ القتل فيه . ونقل عن أبي حنيفة وروى عن عمر وابن عباس وسعيد بن جبيز والحكم ابن عتبة وإسحق بن راهويه والظاهرية ، وهي رواية عن أحمد . وعن أبي الزبير المكي قال : لو وجدت في الحرم قاتل أبي ما كلمته .

الثاني :

« إن كان قاتلاً لم يقتل حتى يخرج من الحرم ، وإن كانت

(١) الأم للشافعي ج٤ ص ١٣٣ - ١٣٥ . (٢) الطرف هنا معناه العضو .

الجنانية فيما دون النفس أقيم عليه الحد ، وهي رواية عن أحمد
وأبي حنيفة .

الثالث :

أن الحدود تقام فيه . ويستوفى القصاص ، وهو قول مالك
والشافعي ، لقوله تعالى : « وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ . وقال ابن المنذر :

« واحتج مالك بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ابن خطل لما وجد
متعلقاً بأستار الكعبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوه » .

ومما ذكره الزركشى من خصائص مكة :

— تغليظ الدية على من قتل في حرم مكة ، وهو الذي لا يجوز
دخوله بغير إحرام لقوله تعالى : « وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ » . ولأنه لما تغلظ بتحريم الضيعة
كان أولى أن تغلظ فيه نفوس الآدميين ، لأن للجرم تأثيراً
في إثبات الأمن . وتغلظ وإن كان القتل خطأ سواء كان
القاتل والمقتول معاً في الحرم ، أو أحدهما فيه دون الآخر .
— ذهب الحسن البصري إلى أنه لا يحل لأحد أن يحمل السلاح
بمكة ، لأن القتل فيه منهي عنه فلا يحل ما يسببه ، ولقوله
صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة »

رواه مسلم من حديث جابر قال القاضي عياض : وهو محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة ، فإن كان لحاجة جاز . قال : وهذا مذهب مالك والشافعي وعطاء .

— قال أصحابنا : لا يمكن الكافر من دخول حرم مكة ، سواء مساجدها وغيرها . حتى لو جاء في رسالة لا يدخل بل يخرج إليه من يقضى الأمر المتعلق به . هذا هو المشهور . قال الشافعي في الأم هناك : ليس للإمام أن يدع مشركاً يطمأ الحرم بحال من الحالات .. طبيباً كان أو صانعاً بنياناً أو غيره . وابن كنج يحمل النص على غير حالة الضرورة .

— أنها دار إسلام أبدا لا يتصور فيها خلافه . وهذا أحد التأويلين في قوله صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد الفتح ، أى من مكة لأنها دار إسلام ، وإنما تكون الهجرة من دار الحرب وهذا يقتضى معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها تبقى دار إسلام ، لا يتصور منها الهجرة ، وقيل^١ : بل معناه : لا هجرة بعد الفتح : فضلها كفضلها قبل الفتح . وفي صحيح مسلم في كتاب العظمة والأهوال عن أبي سفيان عن جابر قال : «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن الشيطان قد

أليس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش
بينهم^(١) .

— انعقد الإجماع كما قال القاضي عياض وغيره — على أن
أفضل بقع الأرض على الإطلاق المكان الذي ضم جسده صلى
الله عليه وسلم وعلى أن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض
بعده .

— أن الحرم لا يدخله أحد إلا متواضعاً خاشعاً مُتَذَلِّلاً مكشوف
الرأس متجرداً عن لباس الدنيا بخلاف غيره من البقاع .
— أنه سبحانه أقسم به في موضعين من كتابه فقال : « وهذا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ » وقال « لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ » أي أقسم ، لأن
« لا » في هذا الموضع عند النحويين صلة .

— أنه سبحانه وتعالى أضافه لنفسه في قوله تعالى : « وَطَهَّرْ
بَيْتَ لِبَاطِنَيْنِ » وناهيك بهذه الإضافة المنوّهة بذكره ، المعظمة
لشأنه . الرافعة لقدره ، وهي السر في إقبال قلوب العالمين
عليه ، وعكوفهم لديه .

— روى ابن حبان في صحيحه في حديث طويل مرفوعاً : أن
الحاج إذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين في باب تحريش الشيطان — ومعنى التحريش
إيقاد المحصومات ، وإيقاع الحروب والفتن بينهم .

ولدت له أمه . وفي سنين سعيد بن منصور عن عمر أنه قال :
من أتى هذا البيت لا ينتهزه^(١) غير صلاة فيه ، لم يجز كيوم
ولدت له أمه .

لو نذر إتيان المسجد الحرام ، لزمة ، لحديث : لاتشد الرخال
إلا إلى ثلاثة مساجد كما هو في الصحيحين . وأصح
الطريقين ، أنه ينعقد نذره بحج أو عمرة ونص عليه
الشافعي كما قاله القاضي الحسين لحديث أخت عقبة
أنها نذرت أن تمشي إلى بيت الله فأمرها رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن تمشي بحج أو عمرة ، لأن مطلق كلام الناذرين
محمول على ما ثبت له أصل في الشرع « كمن نذر أن يصلي :
يلزمه الصلاة المعهودة شرعاً والمعهود في الشرع والعرف قصد
المسجد الحرام بالحج والعمرة فيحمل نذره عليه .
- لو قال : لله على أن أستر الكعبة ، أو أطيبها لزمه ، لأنه
قد عهد في الصدر الأول فدل على أنه مطلوب ، واندرج
تحت قوله صلى الله عليه وسلم من نذر أن يطيع الله فليطعه^(٢)
- لو نذر صلاة في الكعبة . جازت في أطراف المسجد الحرام .
حكاه الإمام عن شيخه^(٣) ...

(١) المراد أي من خرج إلى المسجد أو حج ولم ينو بخروجه غير الصلاة والحج

(٢) أخرجه ابن ماجه في النذر : ٦٨٧ : ١

(٣) المقصود إمام الحرمين عبد الملك الجويني المتوفى ٤٧٨ هـ .

— لو نذر الصلاة بمكان لم يتعين إلا المسجد الحرام إذ لا يقوم
غيره مقامه لعظم فضله وتعلق النسك به . ولو عين حرم
المدينة أو المسجد الأقصى للصلاة فالأظهر في التحرير عدم
التعيين والراجع عند الأكثرين وصححه النووي تعيينها
بدليل : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاث

١- أن من أنكر مكة أو البيت ، أو المسجد الحرام ، أو ضفة
الحج ، أو أنه ليس على هذه الهيئة المعروفة ، أو قال لا
أدري أن هذه المسماة بمكة هي مكة أو غيرها ، لاشك في
تكفير قائله . قاله النووي في زوائد الروضة ناقلاً له عن
القاضي وغيره .

٢- أن الدجال لا يدخلها لما في الصحيحين من حديث أنس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس من بلد إلا
سيطره الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من أنقابها إلا عليه
الملائكة حافين (١) يحرسونها .

(١) الحديث كما أخرجه البخاري : « ليس من بلد إلا سيطره الدجال » إلا مكة والمدينة ليس
نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل
كافر منافق « يقال العلامة المعنى : ومعنى قوله ترجف المدينة إلخ . أى يحصل بها زلزلة بعد أخرى .
ثم في الرجفة الثالثة يخرج الله منها من ليس مخلصاً في إيمانه ويبقى بها المؤمن المخلص فلا يسلط عليه الدجال .
مدة القارى : ٤٤ : ١٠ .

وذكر الزركشى من خصائص المدينة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتى المدينة .
 قال أبو هريرة - راوى الحديث - : فلو وجدت الظباء ترتع
 بين لابتىها ما ذعرتها وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حرمي .
 رواه مسلم . وفي لفظ للبخارى عنه مرفوعاً . حرم ما بين لابتى
 المدينة على لسانى . قال أبو عوانة فى صحيحه المخرج على مسلم .
 قال مالك : المدينة بزيد فى بريد واللايتان من الحجر ، وهما
 الحرتان : وفى الصحيحين من حديث أنس عن النبى صلى الله
 عليه وسلم قال : المدينة حرم من كذا إلى كذا ، لا يقطع شجرها .
 الحديث . .

- أن مسجدنا أنشئ على يد سيد المرسلين والمهاجرين الاولين
 والأنصار المتقدمين خيار هذه الأمة ، وفى ذلك من مزيد
 الشرف على غيره ما لا يخفى واشتغالها على بقعة هى أفضل
 بقاع الأرض بالإجماع ، وهو الموضع الذى ضم أعضاء النبى
 صلى الله عليه وسلم . حكى الإجماع القاضى عياض وغيره .
 - تحريم صيدها وشجرها على الحلال والمحرّم : كمكة خلافاً
 لأبى حنيفة . لقوله : صلى الله عليه وسلم . إن إبراهيم حرم
 مكة ، وإنى حرمت المدينة ..

« ما بين لابتيتها لا يقطع عضاهها ، ولا يصاد صيدها » (١)
رواه مسلم . وقوله : لا يقطع عضاهها أى : شجرها . وروى
أبو عوانة فى صحيحة عن شرحبيل بن سعد قال : أتانا زيد
ابن ثابت ونحن غلمان ننصب فخاخاً للطير فطردنا وقال :
إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صيد المدينة وأما حديث :
يا أبا عمير ما فعل النغير ؟

فيحتمل أن يكون قبل تحريم المدينة لكن مكة يضمن
صيدها وشجرها . . وفى ضمان المدينة قولان للشافعى : الجديد :
عدم الضمان ، وهو قول مالك لحديث يا أبا عمير ما فعل النغير ؟
- يحرم نقل تراب حرم المدينة أو أحجاره إلى الخارج عن حرم
المدينة ولا يجوز أخذ الأكر والأباريق المعمولة من ترابها جزم
به النووى فى شرح المذهب .

- أن الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم تربو على الصلاة
فى غيره بألف صلاة ، فى الصحيحين من حديث أبى هريرة :
« صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه لا المسجد
الحرام » قال النووى : وهذا التفضيل يعم الفرض والنفل
كمكة .

(١) الزيادة من صحيح مسلم فى كتاب الحج ، ١٩٢ .

يستحب المجاورة بالمدينة لما يحصل في ذلك من ثيل الدرجات
ومزيد الإكرامات . وفيه خلاف مثل الخلاف في المجاورة
بمكة ، ذكره النووي في شرح مسلم .

- يستحب الانقطاع بها ليحصل له الموت بها ، وقد كان
المهاجرون إلى المدينة يكرهون أن يموتوا بغيرها ويسألون الله
عز وجل أن يتوفاهم بها .

وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن أسلم عن أبيه
عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول : اللهم ارزقني شهادة في
سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك . وبوب عليه النووي في
الأذكار : باب استحباب دعاء الإنسان أن يكون موته في البلد
الشريف .

- اختصاص أهلها بمزيد الشفاعة والإكرام زائداً على غيرهم
من الأمم .. وفي الصحيحين عن أبي هريرة وغيره «من
صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيداً أو شفيحاً يوم
القيامة» .

- وجود البركة في ضاع أهل المدينة ، ومدهم ، ومكيالهم ،
لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالبركة فيه . قال
النووي : والظاهر أن البركة في نفوس المكيال في المدينة

ابن خيث يكتفي المد بها من لا يكفيه في غيرها . وفي الحديث الصحيح : وإني دعوت في صاعها ومدها . يمثل ما ذاع به إبراهيم لأهل مكة .

تخصيصها بالبقعة التي بين القبر والمنبر . ففي الصحيح : ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة . وفي لفظ : ما بين بيتي ومنبري . : وفي لفظ للطبراني : ما بين حجرتي ومصلاتي ...

أن الدجال لا يدخلها كما لا يدخل مكة . ففي الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً : أن الدجال لا يطأ مكة ، ولا المدينة ، وأنه يجيء حتى ينزل في ناحية المدينة فترجف ثلاث رجفات فيخرج كل كافر ومنافق . وفي رواية البخاري عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا يدخل المدينة المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، على كل باب ملكان . .

— أنها كالكير في إزالة الخبث عنها ففي الصحيحين من حديث جابر : أن أعرابياً بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأصابه وعك بالمدينة فقال : يا محمد . أقلني بيعتي فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرج الأعرابي . فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : إنما المدينة كالكبير تنفخ خبثها وينصح طيبها .

- أنه لا يريد أحد أهلها بسوء إلا إذا به الله في النار ذوب الرصاص وذوب الملح في الماء كما ثبت في الصحيح قال القرطبي : ظاهره أن الله يعاقبه بذلك في النار . ويحتمل أن يكون ذلك كناية عن هلاكه في الدنيا ، أو عن توهين أمره وطمس كلمته كما قد فعل الله ذلك بمن غزاها .

- يستحب الصيام بالمدينة والصدقة على سكانها وبرهم ، فهم جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أهل المدينة .

- روى عن مالك رضى الله عنه أنه كان لا يركب بالمدينة بغلة . فقيل له في ذلك : فقال : لا أطأ راكباً مكاناً وطئه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً وكان لا يرفع صوته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً سواء وقد قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ » .

- لا يجتهد في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه صواب قطعاً . إذ لا يقر على خطأ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى

لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة بخلاف محارِب المسلمين ،
والمراد بمحارِبهِ صلى الله عليه وسلم مكان مصلاه فإنه لم يكن
فى زمنه عليه السلام محراب .

— روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني حرمت المدينة ما بين
مأزميها (١) ، لا يهراق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ،
ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف .

— روى ابن أبى خيثمة فى تاريخه الكبير عن مالك : أن المدائن
كلها افتتحت بالسيف والمدينة افتتحت بالإيمان ، ثم ساق
بسنده إلى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
قالت : كل البلاد افتتحت بالسيف والرمح ، وافتتحت
المدينة بالقرآن . .

— نقل عن مالك : أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل
المدينة قدم إجماعهم . ولهذا روى حديث ابن عمر فى إثبات
خيار المجلس ثم قال : « وليس لهذا عندنا حد معلوم ، ولا
أمر معمول به » .

لما اختبص به أهل المدينة من سكناتهم مهبط الوحى . ومعرفتهم

(١) أى جيلها . .

بأنه نسخ والنسخ : فمخالفتهم لبعض الأخبار تقتضى علمهم بما أوجب ترك العمل به من نسخ أو دليل راجح .

— ينبغى للزائر الغريب أن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم كلما دخل المسجد أو خرج .

— ليعلم المقيم بها عظم محلها ، ويعتقد فيها غاية الإجلال والتعظيم ويحذر من إحداث حادث بها ولو يسيراً كما روى أن عبد الرحمن بن مهدي لما قدم المدينة ، ودخل المسجد وضع شيئاً كان عليه بين الصفوف فأمر به مالك فأخذ . فقيل له : إنه فلان . فعاتبه . وقال : أتفعل مثل هذا ؟ أو ما علمت أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : « من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (١) . فانظر كيف جعل مالك رحمه الله هذا الفعل اليسير داخلًا في عموم الحديث ؟ .

وجاء أنه استفتى مالك رحمه الله في رجل قال : تربة المدينة غير طيبة ، أنه أفتى بضربه .

ينبغي قصد المدينة للتعليم أو التعليم . ففي سنن ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن حميد

(١) أخرجه البخارى في باب حرم المدينة .

حميد ابن صخر عن المقبرى عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « من جاء مسجدى هذا لم يأتته إلا لخير يتعلمه » .

- وقال السيوطى : (١) اختص حرم مكة بأحكام : -
- الأول : لا يدخله أحد إلا بحج أو عمرة وجوباً أو استحباباً .
- الثانى : لا تقاتل فيه البغاة على رأى .
- الثالث : يحرم صيده .
- الرابع : يحرم قطع شجره وبشاركه فيهما حرم المدينة .
- الخامس : يمنع كل كافر من دخوله ، مقيماً كان أو مسافراً .
- السادس : لا تحل لقطته للتملك .
- السابع : يحرم إخراج أحجاره وترابه إلى غيره .
- الثامن : يكره إدخال أحجار غيره وترابه إليه .
- التاسع : يختص نحر الهدايا والقداء به .
- العاشر : يجب قصده بالنذر ، بخلاف ما سواه .
- الحادى عشر : لو نذر الذبح فيه تعين ، بخلاف ما لو نذره بغيره ، فيذبح حيث شاء .
- الثانى عشر : لا يؤذن فيه لمشرك ، ولا يدفن فيه فإن دفن نبش وأخرج .

(١) الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المصرى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

- الثالث عشر : تغلظ الدية على قاتل الخطأ فيه .
 الرابع عشر : لادم على أهله في تمتع ولاقران .
 الخامس عشر : لايجوز إحرام المقيم به بحج خارجه .
 السادس عشر : لايكره فيه نافلة بوقت .
 السابع عشر : يسن الغسل لدخوله ، ويشاركه في ذلك حرم المدينة ، كما صرح به النووي في مناسكه .
 الثامن عشر : مضاعفة الصلاة فيه .
 التاسع عشر : مضاعفة السيئات فيهما ، كما تضاعف الحسنات . .
 العشرون : اهتم بالسيئة فيه مؤاخذ به ، ولا يؤاخذ به في غيره (١) .

حكم الإحداث في الحرم المكي والحرم المدني

قد أوردنا فيما سبق ما أجمع عليه الفقهاء وتوافرت عليه النصوص من أن الله تعالى حرم مكة بحرمة البيت العتيق وجعلها آمنة بأمنه . يقول تعالى ممتنا على أهل مكة : « أَوْلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتِ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (٢) .

(١) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية للإمام السيوطي صفحة ٤٢٠ ط ١٣٧٨ هـ -
 (٢) ٥٧ القصص . ج ١٩٥٩ م .

وكذلك أوردنا ما استفاضت به الأحاديث من تحريم المدينة ، وما يراه جمهور الفقهاء من تعظيمها وحرمتها .
وعلى هذا فإن الإحداث بمعنى فعل المذكر أو الأمر المحدث المبتدع الغريب على كرامة الحرمين أمرٌ قد ورد في شأنه الوعيد بالعقاب الشديد .

وقد أوردنا ما نقله الزركشى (١) أن عبد الرحمن بن مهدي لما قدم المدينة ، ودخل المسجد وضع شيئاً كان عليه بين الصفوف فأمر به مالك فأخذ . ف قيل له : إنه فلان . فعاتبه مالك وقال : أتفعل مثل هذا ؟ أو ما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (٢) .

فانظر كيف جعل مالك رحمه الله هذا الفعل اليسير داخلاً في عموم الحديث ؟

وجاء أن مالكاً رحمه الله استفتى في رجل قال : تربة المدينة غير طيبة ، فأفتى بضربه (٣) .

ويختلف عمل المنكر في ساحة الحرمين عن ارتكابه في

(١) الإمام بدر الدين الزركشى المتوفى ٧٩٤ هـ في كتابه إعلام المساجد بأحكام المساجد ص ٢٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري في باب حرم المدينة .

(٣) إعلام المساجد بأحكام المساجد للزركشى ص ٢٧٢ طبعة المجلس الأعلى حجج ولم ينو بخروجه غير الصلاة والحج للشئون الإسلامية .

أي مكان آخر بأن العقاب على الذنب في بقاعهما يتضاعف .
فالجراة على الذنب فيهما أشد انتهاكاً لحرمات الله .
والرأى عند كثير من العلماء أن السيئات تتضاعف في
الحرمين الشريفين . كما تتضاعف الحسنات وأن الرجل يؤاخذ
بألم بالسيئة فيهما ، ولا يؤاخذ به في غيرهما ..

والقاعدة لديهم أن الثواب والعقاب يتضاعفان بحسب
ظروف الزمان والمكان . فالحسنة في رمضان مثلاً .. يزداد أثرها .
وكذلك السيئة ، والثواب على الصلاة في المسجد ، يزيد في
الأغلب الأعم عنه في غيره .. وكذلك العقاب إذا اجتزأ الرجل
في المسجد على ارتكاب عمل محرم .

وإذا جرت هذه القاعدة في غير مكة والمدينة فهي في شأنهما
أولى . لما يختصان به من تحريم وتعظيم وقد أوردنا ما رواه
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : - « إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل
لأحد بعدي .. وإنما أحلت لي ساعة من نهار لا يخلني خلالها
ولا يغصد شجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا
لمعرف .

قال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا .

قال : إلا الإذخر . وعن خالد عن عكرمة قال : هل تدري مالا ينفر صيدها ؟ هو أن ينحيه من الظل ينزل مكانه .

وكذلك أوردنا مارواه الشيخان وله شواهد كثيرة : عن علي رضي الله عنه قال : « ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا القرآن وما في هذه الصحيفة .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة حرام ما بين غير إلى ثور^(١) فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً في ذمته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل منه صرف ولا عدل .

وجمهور الفقهاء على أن تحريم مكة والمدينة وكونهما آمنين مؤمنين لا يمنع من إقامة الحدود ، وزجر المعتدى فيهما . ذلك أن حقوق الله يجب أن تحفظ ، وحفظها في الحرمين الشريفين يأتي من باب أولى ولقد ذهب الحسن البصري وعكرمة وبعض غيرهما إلى أنه لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة لأن القتل فيها منهي فلا يحل ما يسببه . ولقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة » . رواه مسلم . من حديث جابر .

(١) غير : بفتح العين ويكون الياء — وتور جيلان الأول بالمدينة — والثاني بمكة وهو الغار الذي بات فيه رسول الله أثناء الهجرة .

قال القاضي عياض : وهو محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة . فإن كان لحاجة جاز . قال : وهذا مذهب مالك والشافعي وعطاء^(١) .

وقد أوردنا ما رواه الشيخان عن أبي شريح رضي الله عنه أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : إئذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبي صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذنأى ، ووعاه قلبي ، وأبصرتة عينأى حين تكلم به .

حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأ ، ولا يعصدها شجرة .. فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فقولوا : إن الله قد أذن لرسول الله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » .

ف قيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو ؟ قال : أنا أعلم منك يا أبا شريح :

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى - القاهرة ١٣٨٥ هـ ص ١٦٩ ..

إن الحرم لا يعيد أعاصياً ، ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بخربة
« خربة بلية » . (١)

قال الشافعي رضي الله عنه : (ولو أن قوماً من أهل دار الحرب لجأوا إلى الحرم فكانوا ممتنعين فيه أخذوا كما يؤخذون في غير الحرم ، فنحكم فيهم من القتل وغيره ، كما نحكم فيمن كان في غير الحرم . فإن قال قائل : وكيف زعمت أن الحرم لا يمنعهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة : «هي حرام بحرمة الله ، لم تحل لأحد قبلي : ولا تحل لأحد بعدى ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار» . وهي ساعتها هذه محرمة ؟ . قيل : إنما معنى ذلك والله أعلم أنها لم تحل أن ينصب عليها الحرب ، حتى تكون كغيرها . فإن قيل : ما دل على ما وصفت ؟ . قيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم عندما قتل عاصم بن ثابت وخبيب .. بقتل أبي سفيان في داره بمكة غيلة إن قدر عليه . وهذا في الوقت الذي كانت فيه محرمة فدل على أنها لا تمنع أحداً من شيء وجب عليه » (٢) .

هذا : وقد رجح الفقهاء أن يؤخذ المحدث في الحرمين الشريفين بالأخف والأدنى فالأدنى من أسباب العقوبة والدفع

(١) هذا لفظ الراوى ، والمقصود بالخربة - البلية والذنب .

(٢) الأم للشافعي طبعة دار الشعب ج٤ ص ٢٠٢ .

فَيُذْفَعُ دفع الصائل حتى يكف عما يحدثه - وذلك رعاية
لحرمتها . وصيانة لهما عن القتل أو إراقة الدماء فيهما .

قال الشيخ محمد^(١) بن عبد الوهاب في مختصر الإنصاف
والشرح الكبير : « وإن تعدى على أهل مكة الركب دفعوا عن
أنفسهم . كما يُذْفَعُ الصائل ، ولغيرهم أن يدفع معهم بل قد
يجب إن احتيج إليه »^(٢)

واجب الإمام دفع الأحداث عن الحرمين

مما سبق يتضح أن دفع الأحداث في الحرمين الشريفين ،
ورعاية حقوق الله في رحابها من أولى الواجبات التي تناط
بالإمام .

ذلك أن أول مهام الإمام حراسة الدين . فإذا حدث في
رحابها هرج ، أو شغب أو عمل يؤدي إلى الفتن ، كان واجباً
على الإمام أن يدفعه ليعيد السكينة للحرم ، ويقر الأمن
للطائفين والعاكفين والركع السجود .

قال الماوردي : الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين
وسياسة الدنيا^(٣) وقد أجمل الفقهاء واجبات الإمام في عشر مهام :

-
- (١) الإمام محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ .
 - (٢) مختصر الإنصاف والشرح الكبير ص ٤٧١ - السلفية بمصر .
 - (٣) الأحكام السلطانية ص ٥ . |

أحدها : حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة ، فإن نجم مبتدع أوزاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحججة وبين له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الدين محروساً من خلل ، والأمة ممنوعة من زلل .

الثاني : تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة ، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

الثالث : حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المغايش وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال .

الرابع : إقامة الحدود لتحصان محارم الله - تعالى - عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك .

الخامس : تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لاتظفر الأعداء بثغرة ينتهكون فيها محرماً أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دهاً .

السادس : جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

السابع : جباية النوى والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف .

الثامن : تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسع : استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة ، والأموال بالأمناء محفوظة .

العاشر : أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال ، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة^(١) .

وقال أبو يعلى : ويلزم الإمام من أمور الأمة عشرة أشياء : أحدها : حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة — فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من خلف ، والأمة ممنوعة من الزلل .

الثاني : تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بينهم ، حتى تظهر النصفة ، فلا يعتدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٠ ، ١٦ .

الثالث : حماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعاش وينتشروا في الأسفار آمينين .

الرابع : إقامة الحدود لتصان محارم الله - تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك .

الخامس : تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة ، حتى لا تنظر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرماً أو يسفكون فيها دمماً لمسلم أو معاهد .

السادس : جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة .

السابع : جباية النوى والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير عسف .

الثامن : تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير فيه ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا ولا تأخير ..

التاسع : استكفاء الأمناء النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة .

العاشر : أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة (١) .

(١) الأحكام السلطانية لأبي تيمس ص ٢٧ ، ٢٨ .

قال إمام الحرمين (١)

ليعلم طالب الحق وباغى الصدق أن مطلوب الشرائع من
الخلائق - على تفنن الملل والطارئق - الاستمسك بالدين والتقوى
والاعتصام بما يقربهم إلى الله زلفى ، والتشهير لا بتغاء ما يرضى الله
تقدس وتعالى ، والاكتفاء ببلاغ من هذه الدنيا ، والندب إلى
الانكفاف عن دواعي الهوى والانحجاز عن مسالك المنى ، ولكن
الله تعالى فطر الجبلات على التشوف للشهوات ، وناط بقاء
المكلفين ببليغة وسداد ، فتعلقت التكاليف من هذه الجملة
بالمحافظة على المطالب والمكاسب ، وتميز الحلال عن الحرام ،
وتهذيب مسالك الأحكام على فرق الأنام الدنيا من الدين
مجرى القوام ، والنظام من الدرائع إلى تحصيل مقاصد
الشرائع .

ثم قال : ولما اختتم الله الرسالة في هذا العالم بسيد ولد
آدم أيده بالحجة البيضاء والمحجة الغراء ، وشد بالسيف أزره ،
وضمن إظهاره ونصره ، وجعله إمام الدين والدنيا وملاذ الخلق
في الآخرة والأولى ، ثم أكمل الله الدين واختتم الوحي فاستأثر
برسوله سيد النبيين ، فخلقه أبو بكر الصديق ليدعو إلى الله

(١) أبو المال عبد الملك الجويني المتوفى سنة ٤٧٧ هـ .

دعاه ، ويقرر من مصالح الدنيا ومراشدها ، وينتجى فى استصلاح
العبادة انتحاه .

وغرضنا من تقديم هذه المقدمة توطئة طرق الإفهام إلى
مايتعلق من الأحكام بالإمام . فالقول الكلى : إن الغرض
استيناء قواعد الإسلام طوعاً أو كرهاً والمقصد الدين .

ولكنه لما استمد استمراره من الدنيا كانت هذه القضية
مرعية ، ثم المتعلق بالأمّة الأمور الكلية (١) .

وأخذ إمام الحرمين يفصل ما أجمله فقال : «فأما القول
فى أصل الدين فينقسم إلى : حفظ الدين بأقصى الوسع على
المؤمنين ، ودفع شبهات الزائغين» والسعى (٢) إلى دعاء الجاحدين
والكافرين إلى التزام الحق المبين ..

وإن كان ما صار إليه الناجم بدعة لاتبلغ مبلغ الردة فيتحتم
على الإمام المبالغة فى منعه ودفعه ، وبذل كنه المجهود فى رده
ووزعه ، فإن تركه على بدعته واستمراره فى دعوته يخبط
العقائد ويخلط القواعد ، ويجر المحن ويشير الفتن ، ثم إذا
رسخت البدع فى الصدور أفضت إلى عظامم الأمور ، وترقت
إلى حل عصام الإسلام (٣) .

(١) الغياث : غياث الأمم فى الغياث الظلم من ١٨٠ - ١٨٣ نهضة مصر .

(٢) زدناها لتكمل العبارة . (٣) الغياث من ١٨٥ .

وانتهى هذا الإمام إلى قوله : « فإن قيل : ما وجه ارتباط العبادات بنظر الإمام ؟ ما كان منها شعاراً ظاهراً في الإسلام ، تعلق به نظر الإمام ولذلك ينقسم إلى :

ما يرتبط بإجتماع عدد كبير وجمع غفير ، كالجمع والأعياد ، ومجامع الحجيج . ومالا يتعلق بإجتماع ، كالأذان وعقد الجماعات فيما عد الجمعة من الصلوات .

فأما ما يتعلق بشهود جمع كبير فلا ينبغي للإمام أن يغفل عنه ، فإن الناس إذا كثروا عظم الزحام ، وجمع المجمع أخيفاً ، وألف أصنافاً - خيف في مزدحم القوم أمور محذورة .

فإذا كان منهم ذونجدة وبأس ، يكف عادية إن هم بها معتدون ، كان الجمع محروساً ودرأت هيبة الوالى ظنوناً وحلوساً ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة أبابكر رضى الله عنه .. على الحجيج ، ثم استمرت تلك السنة في كل سنة ، فلم يخل حج عن إمام ، أو مستناب من جهة إمام ، ولذلك صدر الخلفاء مياسير الأمراء وذوى الأولوية بإقامة الجمع ، فإنها تجمع الجماعات ، وهى إن لم تقصن عرضة للفتن والآفات» (١) .

(١) النياى لإمام الحرمين : غياث الأمم في التياث الظلم - بتحقيق الدكتور عبد العظيم الديب طبعة مطبعة نهضة مصر ١٤٠١ هـ ص ١٩٩ .

قال الماوردي : وإذا قام الامام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أدى حق الله تعالى لهم وعليهم ، ووجب له عليه حقان : الطاعة ، والنصرة مالم يتغير حاله» (١) .

وقال أبويعلی : «وإذا قام الإمام بحقوق الأمة وجب عليهم حقان : الطاعة والنصرة ، ولا يوجد من جهته ما يخرج به عن الإمامة والذي يخرج به عن الإمامة شيان ؛ الجرح في عدالته والنقص في بدنه» (٢) .

هذا : ونشهد لله أن الحرمين الشريفين يلقيان الآن على الرعاية وأن مشروعات التجديد والإصلاح والتوسعة لهما ، والتيسير فيهما ، ومن حولهما تسبق كل التصورات وأن حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يجدون من الخدمة والأمن والرفادة والسقاية واليسر في الحياة مالم يشهده عصر من قبل .

هذا بالرغم من تضاعف أعداد الحجاج ، وتزايد المطالب والحاجات ، تبعا لظروف الحياة في هذا العصر .

ونشهد بأن خادم الحرمين الشريفين ومن سبقوه من أئمة آل سعود وفوا للحرمين ، ووفوا بأبلغ الوفاء للأمة الإسلامية وهي تهفو إلى بقاء الحرمين المطهرة .

(١) الأحكام السلطانية الماوردي ص ١٧ . (٢) الأحكام السلطانية لأب. يعل ص ٢٨

حكم الدعوة إلى تدويل الحرمين

من الواضح أن الدعوة إلى تدويل الحرمين الشريفين تنتهي إلى أمرين :

أولهما : الخروج عن سلطان الإمام القائم بأمرهما ، والخادم لهما .

والثاني : إقامة مجلس يضم العديد من الأعضاء يدير شئون هذه البقاع المقدسة ..

وكلا - الأمرين باطل معحرماً شرعاً ..

أما الأمر الأول وهو الخروج على الإمام فهو حرام بإجماع أهل السنة ..

هذا ما قرره الإمام النووي (١) في شرحه لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننزع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» .

وفي رواية أخرى من طريق جنادة بن أمية عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : - «دعانا رسول الله صلى الله عليه

(١) الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى ٦٧٦ هـ .

وسلم فبايعناه فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة
في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع
الأمر أهله قال : إلا أن تروا كفراً بواحد عندكم من الله فيه
برهان .

قال النووي : « ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الأمور في
ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً
تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم
وقولوا الحق حيثما كنتم وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام
بإجماع المسلمين » (١) .

وقال الشيرازي (٢) : « لا يجوز الخروج على الإمام لما روى
ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من
نزع يده من طاعة إمامه فإنه يأتي يوم القيامة ولا حجة له ، ومن
مات وهو منمارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية » (٣) .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من حمل علينا السلام فليس منا » (٤) .

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٢٨ طبعه مصطفى الحلبي بالقاهرة .

(٢) الإمام أبو إسحاق إبراهيم ابن علي بن يوسف الفيروزي الشيرازي صاحب المهذب في الفقه

الشافعي .

(٣) (٤) متفق عليه رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٣) رواه مسلم .

قال في (١) جمع الجوامع : ولانجوز الخروج على السلطان (٢) .
وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى (٣) : « يجب على الناس
نصب إمام ولانجوز الخروج عليه (٤) » قال الشيخ الدردير (٥) :
« الباغية » فرقة أى طائفة من المسلمين « خالفت الإمام » الذى
ثبتت إمامته باتفاق الناس عليه « لمنع حق » لله أولادى وجب
عليها .. « أولخلعه » أى وخالفته لإرادتها خلعه أى عزله ،
« لحرمة ذلك » (٦) .

وقال الشافعى رضى الله عنه : « فالباغى يقاتل الإمام
العادل فى مثل هذا المعنى . فى أنه لا يعطى الإمام العادل حقاً . إذا
وجب عليه ، ويمتنع من حكمه ، ويزيد على مانع الصدقة أنه
يريد أن يحكم هو الإمام العادل ويقاتله ، فيحل قتاله
بإرادته قتال الإمام » (٧) .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٨) : متى اتفق المسلمون

-
- (١) الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي .
(٢) شرح الجلال شمس الدين المحلى على متن جمع الجوامع لابن السبكي ج٢ ص ٤٢٠ - الحلبي ١٩٣٧
(٣) شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصارى من علماء الشافعية فى القرن السابع الهجرى .
(٤) غاية الوصول شرح لب الأصول ص ١٥٩ مطبعة القاهرة . عيسى الحلبي .
(٥) الشيخ - أبو البركات أحمد الدردير المالكن . المصرى المتوفى سنة ١٢٠١ هـ .
(٦) أنظر حاشية السوق على الشرح الكبير للدردير - فى الفقه المالكن ج٤ ص ٢٩٨ ، ٢٢٩
طبعة الحلبي - بالقاهرة .
(٧) الأم - لشافعى ج٤ ص ١٣٥ - دار الشعب بالقاهرة .
(٨) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ .

على إمامته ثبتت إمامته ووجبت معونته ، وفي معناه من ثبتت إمامته بعهد من إمام قبله . وكذلك لو خرج رجل فقهر الناس حتى بايعوه صار إماماً يحرم الخروج عليه كعبد الملك بن مروان . فيدخل في عموم قوله « من خرج على أمتي وهم جميع فاضربوا^(١) عنقه بالسيف »^(٢) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في رسالته إلى مُسَدِّد بن مسرهد البصري حين سألَه أن يكتب إليه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) : (والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ولا نخرج عليهم بالسيف ولا نقاتل في الفتنة)^(٤) .

وروى أبو يعلى في الطبقات ، والخلال ، والحافظ بن الجوزي في المناقب عن عبدوس بن مالك . قال . سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والافتداء بهم وترك البدع .

وقال في هذا المقام : « ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان :

(١) مختصر الإنصاف والشرح الكبير للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٧١ طبعة السلفية بالقاهرة .

(٢) الحديث ورد بالفاظ مختلفة من رواية أحمد ، وسلم والتسائي . .

(٣) أي بيانا لما عليه أهل السنة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) المدخل إلى مله الإمام أحمد بن حنبل ص ١٢ لابن بدران الدمشقي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ .

بالرضا أو بالغلبة ، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية ، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق (١) .

لقد ثبتت إمامة خادم الحرمين الشريفين . ثبتت بالعهد والبيعة واجتمع الناس عليه واتفقوا على إمامته ، وأقروا له بالخلافة .

ولقد أصبح من المقرر وجود أئمة للمسلمين في مختلف الأقطار فلا يرد علينا اليوم نظر الخلاف في مسألة تعدد الأئمة في عصر واحد ذلك لأن البقاء الإسلامية تحددت وتقررت لها حكومات مميّزة

لقد أصبح واقعاً الآن تعدد الحكومات الإسلامية بتعدد الأقطار ، وأصبح بعيداً أن تقوم حكومة إسلامية جامعة تتكفل للمسلمين جميعاً بالواجبات الوافية التي تناط بالحكومات في حراسة الدين وسياسة الدنيا .

ومن أجل هذا أصبح ضرورياً وجود أئمة للمسلمين يقودون

(١) راجع المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٢ ، ٢٢ المطبعة المنيرية للشيخ عبد القادر ابن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران الدمشقي الحنبل المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ .

هذه الحكومات وينسوسون شئون المسلمين تبعاً لتعدد الأقطار وتعدد الحكومات .

وقد كان الرأي لدى الكثير من الفقهاء على منع تعدد الأئمة في عصر واحد ، وذلك رعاية لوحدة الأمة الإسلامية ، ودرءاً لما ينشأ عن التعدد عادة من نزاع .

لكن الأمر اختلف الآن ، فقد امتدت أصقاع البلاد الإسلامية واستقرت بينها حدود طبيعية وصناعية ، فإذا تركت هذه الأقطار والأصقاع دون أئمة أدى ذلك إلى مزيد من التمزق وانتهى إلى حال من الفتن والفوضى .

وقد التفت الفقهاء إلى هذه الحقيقة المستقرة التي تفرض وجود إمام لكل قطر تستقل به حكومة .

قال إمام الحرمين : (ذهب أصحابنا إلى منع عقد الإمامة لشخصين في طرفي العالم . ثم قالوا لو اتفق عقد عاقدى الإمامة لشخصين لنزل ذلك منزلة تزويج وليين امرأة من زوجين من غير أن يشعر بعقد الآخر . ثم التفصيل فيه من فن الفقه . والذي عندي فيه أن عقد الإمامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط والمخالف^(١) . غير جائز وقد حصل الإجماع عليه .

(١) المخالف جمع خلاف وهو الناحية .

وأما إذا. بعد المدى وتخلل بين الإمامين شُوع (١) النوى
فلما احتمال في ذلك مجال وهو خارج عن القواطع (٢) و (٣) ..

وقال : « والقول المقنع في هذه القواعد أن الأمة المستجمعين
لخصال المنصب الأعلى ليس لهم إلا إنهاء أوامر الله ، وإيصاها
طوعاً أو كرهاً إلى مقارها ، ثم الغاية القصوى في استصلاح
الدين والدنيا وربط الآيات بمتبوع واحد. إن تَأَتَّى ذلك ، فإن
عَشَرَ ولم يتيسر تعلق إنهاء أحكام الله تعالى إلى المتعبدين بها
يَحْمُوقِينَ في الأقطار والديار (٤) .

وقال شيخ الإسلام مصطفى صبرى التوقادى :

إن الخلافة ليست عبارة عن صفة تمتاز بها إحدى الحكومات
الإسلامية بل ، هى عبارة عن كون حكومة مانائبةً مناب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في القيام بأحكام الشرع الإسلامى فلها
ركنان : حكومة ونيابة ومتى فُقِدَ أحد الركنين مثل الحكومة
بلا نيابة ، كما وقع في حكومة أنقره . أو النيابة بلا حكومة كما
وقع في نيابة عبد المجيد ، فُقِدَتِ الخلافة .

(١) شُوع - يفتح الشين وضم السين . ما كان شديد البعد .

(٢) أى أنه محل للنظر والاجتهاد ، وليس فيه دليل قاطع .

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص ٢٥ طبعة الخانجي ١٩٥٠ بالقاهرة .

(٤) الفياثى - ص ٢٩٢ .

فإذا جاز تعدد الحكومات الإسلامية ، بل كان ذلك ضرورة .
 ببعد الشقة ولم يُمنع التعدد وتكون كل منها برأسها ، فلا
 مانع إذن من تعدد الخلافة والخلفاء . نعم إن الأصوب والأنفع
 اتخاذ واحد منهم خليفة أعظم يعم نفوذه عليهم ويكون رأيه
 واجتهاده آخر مرجع لتوحيد الكلمة بين المسلمين (١) .

من كل هذا يتضح أن إمامة خادم الحرمين الشريفين
 ثابتة شرعاً وأن إنكار حقه في رعاية الحرمين الشريفين بغى
 وخروج على الإمام الشرعى .

أما الأمر الثانى . وهو الدعوة لإقامة مجلس ينتمى للعديد
 من الدول ويضم العديد من الأعضاء يدير شئون البقاع المقدسة
 فهو الفتنة بعينها ، وهو الفساد الذى لا تقره أحكام الشريعة .
 وإذا نظرنا إلى هذا النظام وجدناه ذريعة وسبيلاً لتدخل
 كل ذى هوى - ظاهر أو خفى ، شرقى أو غربى - فى سياسة
 الحرمين الشريفين .

وإنه من الواضح تحريم هذا التيار الجامح ، ، ووجوب

(١) التكبير على منكبرى النعمة من الدين والخلافة والأمة من ٣٩ ، ٤٠ ط بيروت ١٣٤٢ هـ
 لشيخ الإسلام مصطفى صبرى آخر شيوخ الإسلام فى عهد الخلافة العثمانية .

التصدى له درءاً للخطر ، وسداً للذرائع ، وحماية للأرض
المقدسات الإسلامية أن تكون ساحة للأهواء ..

إن تفريق أمر الإمامة الإسلامية في القطر الواحد .. مغالفة
لما عليه إجماع أهل السنة قال القاضي أبو يعلى : «نصب الإمام
واجبة ، وقد قال أحمد رضى الله عنه - في رواية محمد بن
عوف بن مفيان الحمصي .. الثنتة إذا لم يكن إمام يقوم
بأمر الناس» (١) .

ونقل عن الإمام أحمد في رواية المروذى : «لا بد للمسلمين
من حاكم .. أتذهب حقوق الناس ؟» (٢) .

ونقل عنه في رواية إسحاق بن إبراهيم : «الإمام الذى
يجتمع عليه أهل الحل والعقد كلهم .. يتمولون : هذا إمام» (٣)

ويؤخذ من هذا أنه لا بد من تقايد مسئولية الإمامة في القطر
الواحد لرجل واحد ، ولا يصح أن تترك هدراً يتوزعها عدد
من الناس فتتحل الأواصر ، ويشيع الفساد ، وتنشأ الفتن
ويهلك المجموع ..

قال الماوردى : «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٩ : (٢) صفحة ٢٤ المصدر السابق .

(٣) صفحة ٢٣ المصدر السابق .

الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع» (١) .

وقال : « والإمامة لا يجوز الاشتراك فيها » (٢) .

وقال : فإذا استقرت الخلافة لمن تقلدها بعهد أو اختيار لزم كافة الأمة أن يعرفوا إفضاء الخلافة إلى مستحقها » (٣) .

وقال إمام الحرمين : « الإمامة رياسة تامة وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا . .

ولا يرتاب من معه مُسَكَّة من عقل أن الذب عن الحوزة ، والنضال دون حفظ البيضة محتوم شرعاً ، ولو ترك الناس فوضى لا يجتمعهم على الحق جامع . ولا يزعمهم ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع ، مع تفنن الآراء ، وتفرق الأهواء ، لانتشر النظام ؛ وهلك العظام وتوثبت الطعام والعوام ، وتحزبت الآراء المتناقضة ، وتزقت الإدارات المتعارضة ، وملك الأرذلون سراة الناس ، وفضت المجامع . واتسع الخرق على الراقع ، وفشت الخصومات ، واستحوذ على أهل الدين ذوو العرامات وتبددت الجماعات » (٤) .

(١) الأحكام السلطانية لما وردى ص ٥ . (٢) المصدر السابق ص ٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥ . (٤) البنيان : ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

. وقال الإمام الغزالي (١) «ولكننا نقيم البرهان القطعي الشرعي على وجوبه (٢)» ولسنا نكتفي بما فيه من إجماع الأمة بل نذهب على مستند الإجماع . ونقول : نظام أمر الدين مقصود لصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام قطعاً ، وهذه مقدمة . قطعية لا يتصور النزاع فيها ، ونضيف إليها مقدمة أخرى وهو أنه لا يحصل نظام لدين إلا بإمام مطاع فيحصل من المقدمتين صحة الدعوى وهو وجوب نصب الإمام .

وأضاف : «أن الدنيا والأمن على النفس والأموال لا ينتظم إلا بسلطان مطاع ، وتشهد لهذا مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة . وأن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام المهرج وعم السيف ، وشمل القحط وهلكت المواشي ، وبطلت الصناعات . وكان كل من غلب سلب ، ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم إن بقي حياً . .

وعلى الجملة : لا يتأري العاقل في أن الخلق على اختلاف طبقاتهم وما هم عليه من تشتت الأهواء وتباين الآراء لو خلوا وشأنهم ، ولم يكن لهم رأى مطاع يجمع شتاتهم لهلكوا عن آخرهم وهذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر مطاع فبان أن السلطان ضروري في نظام الدنيا ، ونظام الدنيا ضروري في

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ (٢) أي : وجوب نصب الإمام .

نظام الدين ، ونظام الدين ضرورى فى الفوز بسعادة الآخرة وهو مقصود الأنبياء قطباً فكان وجوب الإمام من ضروريات الشرع الذى لا سبيل إلى تركه فاعلم ذلك (١) .

هذه الدعوة تبطون على بغى يخرج به أصحابها على الإمام الشرعى ، ويمخالفون الجماعة ، وينشرون الفتنة والفساد . وقد أوردنا من قبل ما قرره الفقهاء واتفقوا عليه من أن الإمام إذا قام بحقوق الأمة فقد أدى حق الله فيما لهم وعليهم ، ووجب له عليهم حقان : الطاعة والنصرة . (٢) من المسلمين جميعاً .

قال صاحب الهداية (٣) : « أما ما روى عن أبى حنيفة من لزوم البيت (عند الفتنة) فمحمول على جال عدم الإمام ، أما إعانة الإمام الحق فمن الراجب عند الغناء والقدرة (٤) ووافقه على هذا الكمال بن الهمام (٥) ، وأيده صاحب شرح (٦) العناية على الهداية (٧) .

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٩٧ - طبعة مطبعة الجندي بالقاهرة .

(٢) أوردنا فيما سبق هذا الحكم بالفاظ الماوردى ، وأبى يعلى .

(٣) أبو بكر المرغينانى المتوفى ٥٩٣ هـ .

(٤) الهداية شرح بداية المبتدى فى فقه الحنفية .

(٥) كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفى المتوفى سنة ٦٨١ هـ .

(٦) أكمل الدين محمد بن محمود الياورقى المتوفى سنة ٧٨٦ هـ .

(٧) أنظر شرح فتح القدير - للكمال بن الهمام - مع حواشى الكتاب ج ٦ ص ١٠٣٦ ط الحلبي القاهرة

هذا وأحكام دفع البغى مفصلة في كتب النعمه .
ومجمل الرأى أنه ينبغى دفع البغى بالأسهل - والأخف
بقدر لإمكان ..

قال موفق الدين عبد الله بن قدامة (١) : « أهل البغى هم
الخارجون على الإمام يريدون إزالته عن منصبه ، فعلى المسلمين
معونة إمامهم فى دفعهم بأسهل ما يندفعون به (٢) :

وعلاج الأمر بالإصلاح فى حالنا الحاضرة هذه ، بل وفى
جميع أحوال البغى هو أول ما ينبغى للإمام أن يجتهد له :

قل الشافعى : رحمه الله : « قال الله تبارك وتعالى : « وَلَئِنْ
طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى
أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » (٣) فذكر الله عز وجل - اقمتال الطائفتين .

والطائفتان الممتنعان : الجماعتان كل واحدة تمتنع أشد الامتناع
أو أضعف ، إذا لزمها اسم الامتناع : وسماهم الله تعالى : المؤمنين .
وأمر بالإصلاح بينهم ..

(١) موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسى ثم الدمشقى المتوفى ٦٢٠ هـ .

(٢) الممددة فى فقه الإمام أحمد - بشرح العدة - لبهاء الدين عبد الرحمن المقدسى المتوفى سنة ٦٢٤ هـ .

ص ٥٧٥ ط . السلفية .. (٣) الآية ٩ من سورة الحجرات

فحق على كل أحد دُعَاءُ المؤمنين إذا افترقوا ، وأرادوا القتال أن لا يقاتلوا حتى يدعوا إلى الصلح . وبذلك قلت : لا يُبَيِّتُ أهل البغى قبل دعائهم ، لأن على الإمام الدعاء . . كما أمر الله - عز وجل - قبل القتال . .

وأمر الله بقتال الفئة الباغية وهي مسماة باسم الإيمان حتى تنىء إلى أمر الله . .

فإن فاءت لم يكن لأحد قتالها لأن الله - عز وجل - إنما أذن في قتالها في مدة الامتناع بالبغي إلى أن تنىء . والنىء الرجعة عن القتال بالخزيمة أو التوبة وغيرها . .

وأى حال ترك بها القتال فقد فاء . والنىء بالرجوع عن القتال الرجوع عن معصية الله - تعالى ذكره - إلى طاعته في الكف عما حرم الله - عز وجل - .

وأمر الله تعالى إن فاءوا أن يُصْلَحَ بينهما بالعدل ، ولم يذكر اتباعاً في دم ولا مال ، وإنما ذكر الله الصلح آخرأ . كما ذكر الإصلاح بينهم أولاً^(١) .

(١) الأم للشافعي ٤ ص ١٣٣ ، ١٣٤ طبعة دارالشعب بالقاهرة

الباب
الرابع

فُوح الشذا
أحكام لابن هشام

وكان لابد للكتاب أن يضم رأياً يطلب فيه الجانب التشريعى الإسلامى والدولى وهو ما أخذ به الدكتور جمال الدين محمود .. المستشار ونائب رئيس محكمة النقض وأستاذ القانون .. ليؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك الخطأ الفاحش فى دعوة تدويل الحرمين .. والإساءة البالغة لدرجة التحريم فى الاخلال بأمن «أمان الحرمين وضيوف الرحمن» .. ويوضح الحق الذى لا جدال فيه لحكام أرض الحرمين فى مسئولية الدفاع عن الحرمين .. مكاناً وزماناً .. وإلى أن تقوم الساعة) .

· فيقول فى بحثه بعنوان حماية الحرمين الشريفين :

أول ما يجمع المسلمين كُأمة أن قبلتهم واحدة ، وهذه القبلة هى التى رضىها الله ورسوله للمسلمين (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) .. وهذه القبلة التى يتجه إليها المسلمون منذ عصر النبوة حتى اليوم هى البيت الحرام - الكعبة المشرفة - وهى فى البلد الحرام أم القرى مكة المكرمة ، هذه هى قبلة المسلمين وبلدهم الحرام مكة ، وليس بلد شرفه الله

بالحرمة ، ولا بيت ولا بناء عظم الله أمره ، ولا مكان في الأرض يتجه إليه المسلمون بأبصارهم ، وتهفو إليه قلوبهم ونفوسهم ، مثل مكة أم القرى ، ومثل البلد الحرام والبيت الحرام .

ولن نطيل في ذكرنا تازيخ بناء البيت الحرام ؛ فإن ذلك من شأن من يكتبون في التاريخ وأحداثه . ولكننا نعلم علم اليقين من القرآن الكريم أن إبراهيم وإسماعيل رفعا قواعد البيت بأمر من الله عز وجل (وَلَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) وقد ظل بيت الله الحرام منذ أن رفع إبراهيم وإسماعيل قواعده هو المكان الذي يحج إليه من جزيرة العرب أو أطرافها كل من يتجه بقلبه إلى الملأ الأعلى ، حتى ولو شاب عقيدته لون من الشرك والوثنية ، ونعرف من التاريخ قبل الإسلام أن حرمة هذا البيت استوجبت أن يكون له من يخدمونه ويحرسونه ويعملون على راحة قصاده وزائريه ، فالبيت الحرام لم يترك وشأنه أبدا مبنى أو معنى ، بل كان المعنى ظاهراً أمام كل ذي دين ، وكان المبنى قائماً له من يقومون عليه ، ويعظمون حرمة ، ويمنعون قصاده حينما يصلون إلى مكة المكرمة ، حتى لقد عرف العرب حلف الفضول لحماية الغريب أن يمسه أذى أو ظلم وهو في البلد الحرام . .

والبيت الحرام كما نعلم من القرآن الكريم ، جعله الله .

مشابة للناس وأمناً (وَأِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً) : وحكم
 لله لمن دخله بالأمن (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً) .. وحرم الشرع
 المساس بمظاهر الحياة من شجر وحيوان وإنسان فجعل المكان
 آمناً لمن فيه وما فيه ، فالحرم المكي هو رمز مجسد لفكرة الأمن
 والسلام الذي أتى به الإسلام ، الأمن والسلام الشامل للحياة
 بمن فيها وما فيها ، هذه الفكرة يرمز إليها ويجند بها في الدين
 ويدل عليها البيت الحرام ، مبنى ومعنى ، وليس في الأديان
 السابقة على الإسلام للبشير لفكرة السلام - السلام مع الله ومع النفس ، ومع
 الناس - بل مع مظاهر الحياة من حول الناس ، كالحیوان
 والأشجار ، ولأنود أن نفيض في ذكر آيات القرآن الكريم
 وأحكام الشرع ، التي جعلت من البقعة المباركة التي قام فيها
 بيت الله حرمًا آمناً للناس جميعاً ، أهل مكة ومن حولها وحجاج
 بيت الله وزائريه من شتى بقاع الأرض منذ عصر النبوة حتى
 اليوم .

هذا هو الحرم الأول في الدين كله ، وقبله المسلمين الأولى ،
 وقد ظل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في مكة إلى دين الله ثلاثة
 عشر عاماً ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة بأمر الله ، وفي مكة
 بدأ نزول القرآن ، واختتم نزوله في المدينة المنورة ، وطيلة

عشر سنوات بقضاها الرسول في المدينة ، أصبحت يثرب بما نالها من شرف المدينة المنورة . وقد كانت في المدينة أول دولة قامت للإسلام ، وأول مجتمع طبق فيه الإسلام تطبيقاً مثالياً ، ومن المدينة بدأت انتصارات الإسلام ، ومنها خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المسلمين ، دخلوا مكة في انحصار خامس على الشرك والوثنية ، اكتملت به رسالة الأديان ، وأطفأ ضوء التوحيد ونوره ظلام الشرك والوثنية في بلاد العرب كلها . ثم في أطرافها البعيدة ، وفي أركان المعمورة بعد ذلك

والمدينة المنورة ، بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها ، وبالمجتمع الإسلامي الأول الذي قام فيها ، وبدولة الإسلام الأولى في أرضها ، هي مقر دولة الإسلام الأولى ، وظل فيها النبي صلى الله عليه وسلم الإمام الأعظم للمسلمين ، والقاضي الأحكم والمفتي الأعلم ، حتى انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، وجمعت أرض المدينة شرف حياته بها وجهاده فيها ، ثم قدر الله أن يكون بالمدينة حرم شريف هو مسجده صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ما بنى الرسول في المدينة المسجد ، فهو كما يعرف المسلمون حُجر الزاوية في البناء الإسلامي كله . وهذا الحرم النبوي أوسع وأسمى من أن يكون قبراً يزار ، وليس مسجداً يصلى فيه فتُحسب ، بل هو المسجد بكل قدسيته وجلاله ، وهو أحد

المساجد الثلاثة المتميزة في الأرض وتاريخ الإسلام في جهاده وانتصاراته من المدينة المنورة ، وهو حياة النبي في تلك المدينة معلماً ومشروعاً ، فالحرم النبوي في المدينة هو المسجد النبوي ظهرت حوله أول دولة إسلامية قامت في الأرض ، وكانت بحق هي مملكة الله في الأرض ولانستطيع أن نوفي الحرمين الشريفين قدرهما من الإجلال ، وقد أجلهما الله تعالى ، وقد قدر أن يكونا مسجدين من المساجد التي تشد إليها الرحال في أرض المملكة العربية السعودية ، وأن يكون المسجد الثالث في أرض فلسطين وهو المسجد الأقصى ، وكان الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) فَأَسْرَى بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَرَمٍ إِلَى حَرَمٍ ، وَمِنْ مَسْجِدٍ إِلَى مَسْجِدٍ ، وَمِنْ أَرْضٍ عَرَبِيَّةٍ إِلَى أَرْضٍ عَرَبِيَّةٍ ، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب أصبحت المساجد الثلاثة وأقطارها في يد الإسلام ، ضماناً للمسلمين ، وأماناً لمن يعيش فيها من غيرهم (١) .

(١) لم يحاول النظام الإيراني أن يشارك في تحرير المسجد الأقصى من أيدي غاصبيه ، ولكنه أغرق العالم الإسلامي في الفتن والمشكلات ، وكأنه لم تكفه الفتن السياسية والحروب حتى تظهر الفتنة الدينية بأجل صورها في المسجد الحرام والبلد الحرام .

والمسلمون يقرأون في القرآن الكريم قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ
 كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي
 تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حَازِئًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ
 سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) ويذكرون في تاريخهم
 الديني أن البيت الحرام تعرض لهجمة من أبرهة ، وكان
 حبشياً ، وقاد جيشاً من اليمن حتى يهدم الكعبة المشرفة ، بعد
 أن بنى بناء ظن أنه يحول الناس إليه بدلاً من بيت الله الحرام
 ونعلم من التاريخ وكتب السيرة ، أن عبد المطلب جد النبي
 صلى الله عليه وسلم لقي أبرهة هذا وهو يوشك أن يصل إلى
 الحرم ، ولم يكن يستطيع رده بالقتال ، فاكتفى بأن يطلب إلى
 أبرهة أن يرد إليه إبلا سلبها رجاله ؛ لأنها ملكه ، أما البيت
 « فله رب يحميه » كما قال عبد المطلب ، وقد عجب أبرهة ،
 وخيل إليه أن عبد المطلب لا يهتم بأمر البيت وحرمة ، ولكن
 ذلك كان غفلة من أبرهة ، فلم يكن رد عبد المطلب سوى
 مايتاح له وقتذاك ، فلم تكن هناك دولة في بلاد العرب قبل
 الإسلام ، ولا كان هناك سلطة سياسية تستطيع أن تجمع الناس
 لهدف واحد ، ولا كان عبد المطلب يملك جيشاً يقاوم به العدوان .
 ومسلك عبد المطلب مقبول في وقته وظروفه ، ولكن حين تقوم
 في بلد المسجد الحرام دولة ، وحين تكون هناك سلطة تستطيع

التصدي للعدوان ، فإن الأمر يختلف . ومن ناحية أخرى فلم تكن أحكام الإسلام قد تقرر في تحقيق أمر الله في تنظيم البيت ، وتشريفه ، وصيانتة ، وخدمة حجاجه ، والدفاع عنه مبنى ومعنى ، والبيت له رب يحميه حقاً ، ولكن أمر الله في شأن البيت وحرمة والدفاع عنه هو من واجبات المكلفين ، فلا تصح العبادة إلا حين يبذل الناس حكماً ومحكومين طاقتهم كلها في أداء التكليف الشرعى ، ثم بعد ذلك لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فإن الأمر بعد ذلك يصح فيه عقلاً وشرعاً أن البيت له رب يحميه .

مسئولية حماية الحرمين الشريفين :

ربما يظن البعض أن الحرمين الشريفين - وهما أقدس مقدسات المسلمين - لم يتقرر في شأن الإشراف عليهما شيء في الشرع ، ولكننا نعتقد أن الإشراف على الحرم المكي بالذات وبيت الله الحرام ، قد تقرر فيه ما يعد توجيهاً عاماً . ولفتة شرعية توجه النظر في شأنه .

وأكثر المفسرين لقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) يقررون أنها نزلت في عثمان بن طلحة حاجب الكعبة

وهو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، الذي صارت الحجابة في نسله ، وقد أسلم عثمان هذا في فترة الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يظهر نصره قد منع من دخول الكعبة ، ولكن حين أظهره الله ، أخذ الرسول من عثمان مفتاح الكعبة ، ثم رده إليه بعد أن فتح الكعبة ودخلها .

وفي الحديث الشريف عن مآثر الجاهلية التي أهدرها الرسول ، ووضعها تحت قدميه ، أبقى الرسول « سدانة البيت وسقاية الحاج » وأبقاها على أهلها . وكان علي بن أبي طالب قد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : اجمع لنا الحجابة والسقاية صلى الله عليك . فقال الرسول : « أين عثمان بن طلحة » فدعى إليه ، فقال الرسول : « هذا مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم وفاء وبر » .

وهكذا سلم الشرف لأهله ، وظلت المأثرة بشرع الله قائمة لأهلها ، لا ينازعهم فيها أحد ، ولا حاجة لأحد في منازعة أهلها حقهم ، وإذا التفتنا إلى الحكمة في أن النبي صلى الله عليه وسلم - وقد أظهره الله ونصره - أعاد مفتاح الكعبة لمن يلي أمره تبين لنا أن هذا التكليف والتشريف صدر من النبي

والرسول والإمام الأعظم للمسلمين ، بل صدر من السلطة التي لاسطة فوقها في موازين السياسة والتشريع ، وإذا كانت هذه السلطة قد عهدت إلى أحد فهي تملك ماتعهد فيه أن تباشره بنفسها ، ولكنها أخلاقاً النبوة وشرائع الإسلام ، ومجازرة للعدل إلى الفضل في عودة المأثرة إلى أهلها .

أما الحزم النبوى ، المسجد النبوى ، فهو في المدينة المنورة التي قامت فيها أول دولة في الإسلام ، وظهرت فيها أول سلطة سياسية بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إليها بهجرته الشريفة ، وعاش فيها الرسول بين المسلمين وهو إمامهم الأعظم وقاضيهما الأحكم ، ومفتيهم الأعلم ، ولاشك أن الولاية على المدينة كلها هي لمن يخلفون النبي صلى الله عليه وسلم عليها خلافة حكم وسلطان . وهم المكلفون بحماية المدينة المنورة ، أرضها وأهلها ، وحرمانها ومحارمها .

والدولة في نظر القانون الدولي العام ، هي التشخيص القانوني لأمة من الأمم ، فهي شخص معنوي يمثل شعباً من الشعوب ، والذي يميز الدولة عن الأمة هو السلطة السياسية وحدها لأن السطة السياسية هي شرط لوجود الدولة لا الأمة ، ولذلك فإنه حين تستولى دولة على أرض دولة أخرى وتحكم أهلها ،

أو يكون لها عليهم أمر وسلطان ، تنقذ الدولة وجودها القانوني ، حتى وإن بقي شعبها وأرضها .

وحق الدولة على إقليمها الذي تحدّد في الواقع ، أو بمقتضى معاهدات دولية ، حق مطلق ، ذلك أن إقليم الدولة بكل مشتملاته عنصر ضروري في مجال الحياة والعمل ، بل إن إقليم الدولة ومشتملاته كلها من القدم أو ما يستحدث فيه هو أساس فكرة الوطن ، الذي يتحقق فيه للمواطن الاستقرار والاستقرار والدوام ، بما يترتب عليه من نمو للضمير الجماعي ، ولذلك فإنه لا يحق انتقاص سلطان الدولة على أرضها وإقليمها بكل مشتملاته ، مهما أسرع البعض بحجج واهية ؛ لأن ما ذكرناه هو من أصول القواعد الدولية . ولا خلاف بينه وبين أحكام الشريعة الشريفة .

وفي الإسلام تعتبر الملكية كلها خلافة عن الله عز وجل ، وهي خلافة تكليف لا خلافة حلول ، وملكية الدولة لإقليمها وما يشتمل عليه هو من هذا الباب ، فالدولة أو السلطة السياسية القائمة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة ، هي المكلفة بالحفاظ على الأرض والناس والبقاء ، مبنى ومعنى ، وهي المكلفة بتحقيق أمر الله وحكمه في جعل البيت مشابة للناس وأمناً ، لأن هذه أحكام

شرعية وردت بنصوص قطعية في القرآن الكريم ، ويجب الحفاظ عليها ، بصيانة حرمة البيت الحرام من التعدي عليه بأيّة صورة ، سواء تمثل هذا التعدي بالعدوان على الأرض أو المبنى أو المعنى ، بمحاولة احتلال الأرض أو استغلال موسم الحج ، أو زيارة البيت الحرام ، في أعمال لا تمت إلى أداء الفرائض والنوافل بصلة ، وقد توعّد الله من يحدث في الحرم بأشدّ العذاب ، حتى إنه عز وجل يقول : (وَمَنْ يُدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَنْزُلْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) فمستولية الدولة في المملكة العربية السعودية عن حماية الحرمين الشريفين وصيانتهم ومنع التعدي عليهما أو على أهلها وزوارهما هي مسؤولية شرعية ، وهي فرض عين على السلطة السياسية القائمة في البلاد لا تملك أن تنزل عنه ، ولا أن تعفي نفسها منه ، ولا أن تقبل مشاركة من أحد في شأنه ؛ لأن الحماية الشرعية المطلوبه لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال سلطة سياسية واحدة وقادرة ، ولها على الناس داخل الإقليم حق الطاعة ، وتستطيع أن تتحكم في أمر الدخول إلى الحرمين أو الخروج منهما ، بحسب ما تقتضى به لوازم الحماية والرعاية لهما ولأهلها ، فقد بدأت الدولة في تنفيذ التكليف الشرعى بخدمة وحراسة الحرم المكي منذ تسلم النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة مفتاح الكعبة ، وقد

ظهر أمره وتم نصره وبسط سكمه على مكة وأهلها ، ثم أعطى مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة ، فعهد بالأمانة لأهلها ولأهل استحقاقها ، وبشرهم بدوامها فيهم ، وهم من أهل مكة إلى يوم القيامة .

ولاتكاد تختلف القواعد المعمول بها في القانون الدولي عن ذلك ، فعلماء القانون الدولي يقولون بأن حق الدولة على إقليمها هو حق ملكية ، يسمو على حق الملكية الفردية . ولولا أنهم لا يعرفون فكرة الخلافة لقالوا بها ، نظير قولهم إن حق الدولة على إقليمها يسمو على حق الملكية العادي . والبعض منهم يقولون : إن هذا الحق هو عيني نظامي . ربما يشير قولهم إلى سواد عن حق الملكية العادية ، وعدم قابليته للتخلص منه أو النزول عنه .

ولاوجه للتحدى بمصلحة المسلمين جميعاً في أداء فريضة الحج ، أو زيارة البيت الحرام ، وأن من شأن ذلك أن يجعل لغير السلطة السياسية الوحيدة في المملكة العربية السعودية سلطاناً من أي نوع ، وبأي شكل في الإشراف على الحرمين الشريفين ، فذلك لا أساس له في الشرع ، لأن الحفاظ على الحرم المكي والحرم النبوي فرض عين على ولي الأمر في المملكة العربية

السعودية ، يؤديه ، ويحاسب عنه ، ولا وجه للمشاركة في أدائه ، إلا أن تكون نصيحة من ناصح أمين ، يهدف بها إلى طلب ما ينفع الحجاج والزوار لبيت الله ، ووسيلة ذلك أن يستأذن أولى الأمر ، لأن الواجب يقع عليهم وحدهم (١) ، ومن الناحية العملية لأن السلطان لهم وحدهم على الإقليم ، والطاعة حق لهم على أهلهم . وما يفرضه الشرع يتفق مع القواعد الدولية المعمول بها ، فالدولة هي التي تسيطر على إقليمها وحدها ، وهو ما يعبر عنه بحق السيادة ، والذي قلنا : إنه في الإسلام تتمثل السيادة باعتبارها خلافة من الله عز وجل في تحقيق أحكامه ، وإقامة شرائعه ، وإن حماية الحرمين الشريفين هي فرض واجب على ولي الأمر في المملكة العربية السعودية وحدها .

وتعطى القواعد الدولية ، بمقتضى نظرية سيادة الدولة على إقليمها حقاً لولى الأمر في اتخاذ ما يلزم لتأمين حماية الحرمين الشريفين وصيانتهما من كل مساس بهما ، وهو ما يبدأ بحماية الأرض والبناء ، وحراستهما ، وإصلاح شأنهما ، ومنع المساس بهما بأي شكل من الأشكال . فهو فضلاء عن أنه كبيرة دينية ٤

(١) ومثال ذلك معاهدة بين مصر والمملكة العربية السعودية عام ١٩٣٦ م بعد إعلان قيام ملكة آل سعود سنة ١٩٣٢ ، وتمهدت فيها المملكة بتسهيل أداء الفريضة للحجاج المصريين (م) وأذنت حكومة المملكة السعودية لحكومة مصر من باب التعاون والتضامن أن تطوع بما يلزم من عمل لمعارة الحرمين الشريفين أو لإصلاح المرافق اللازمة لها (م ٥) .

يمثل عدواناً على سلطة ولي الأمر ، وخرقاً للمصالح التي يناط به حفظها ورعايتها .

ومن أجلّ الحكم القرآنية ، أن القرآن الكريم ، في شأن الحج بالذات ، قرن مصالح الناس ومنافعهم بأداء الشعيرة والغرض الديني ، فقال تعالى : (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) . ففي الحج منافع للحجاج ولأهل البلاد ، يجب الحرص عليها . وقد بشر الله أهل مكة حين قرر في صريح حكمه : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَنۢبَغِي لَهُمْ أَنۡ يَّسۡجِدَ الحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا وَإِنۡ خِفْتُمۡ عِيَلَةً فَسَوفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنۡ فَضْلِهِ) بأن خشيتهم من ضياع المنافع مردودة ، إذا هم حافظوا على قدسية الحرم أن تناله يد الإيذاء ، ويشمل ذلك المعنى أن صيانة الحرم المكي الشريف مقدّمة أشد التقديم وأولاه ، على ما يثور من خشية في النفوس من ضياع مصالح اقتصادية أو سياسية أو غيرها من المصالح نتيجة الحفاظ على الحرمين الشريفين وصيانتهما^(١)

ومن وجه آخر ، فإن تنظيم دخول وخروج الحجاج إلى أرض الحرمين الشريفين منوط بولي الأمر في المملكة العربية السعودية

(١) وتمطى الآية الشريفة مثلاً عالياً في حث السلطة القائمة في المملكة السعودية على التمسك بحقها الشرعي وواجبها في تأمين الحج وحفظ أمن وحرمة بيت الله وأهل الحرم مهما أكتنف أداء هذا الواجب بصعوبات أو مشكلات سياسية مع دول أخرى ، فالتوجيه القرآني يفرض عدم الخشية حتى من قوة الموارد .

وحدها طبقاً للقواعد الدولية ، التي لاتخالف نصوص الشرع
أو مقاصده العامة ، ومن حقه أن يمنع من الدخول إلى أرض
الحرمين ، بعد أن تقوم القرائن على نيته في الإساءة إلى الحرمين
أو الحجاج أو أهل البلاد ، أو استغلال موسم الحج في تحقيق
منافع غير مشروعة أو محظورة ، بحسب الأحكام المرعية في
المملكة . ولا يقال إن ذلك يمثل صدأ عن سبيل الله ؛ لأن الحج
عبادة ، ومن شروطه الأساسية « النية » فمن شابت نيته شائبة
الابتعاد عن أداء الفريضة ، واتجه إلى الاستفادة من الحج في
تحقيق أهداف دنيوية بعيدة عن الشعيرة الدينية ، وجب
منعه . ولا يقال : إن النيات يعلمها الله . لأن قرائن الأحوال
تفيد في تحقيق حكم الشرع ، وتبنى الأحكام على الأدلة الظاهرة
والقرائن القاطعة في هذا الشأن ، الذي يتطلب الاحتياط والتوقى
حتى لا يقع المحذور فعلاً - مع توقعه - لأن وقوع المحذور شرعاً
مع توقعه ، وعدم اتخاذ الحيطة ، لا يتفق مع الحرمة المغلظة
التي جعلها الله لبيته ، والتي هي للمساجد جميعاً ، وللمسجد
النبوى أحد مساجد الله المتميزة في الأرض . ولأن عدم اتخاذ
الحيطة ، وسبل التوقى ، مما يؤخذ عليه ولى الأمر المنوط به
المنع من التصدى أصلاً .

ومن أغرب ما قيل ويسمع من البعض ، أن جعل الإشراف

على المتممين الشريفيين من هيئة تشكلى من دول إسلامية أولى وأشد صيانة لهما ، وهو قول لا يتفق مع أصول الشرع ومقاصده ، من تعيين الواجب على ولى الأمر ، الذى له فى أرض الحرمين سلطة الأمر وحق الطاعة . ولا يتفق ذلك أيضاً مع القواعد الدولية المعمول بها ، فالتنظيم الدولى يقوم على أساس الدول المستقلة التى لا يمكن المساس بسيادتها على إقليمها ، بما يشمله من كل المرافق التى تحقق مصالح الناس ، وجعل الإشراف ، أو حتى المشاركة فى هذا الواجب الشرعى لخير المملكة العربية السعودية يصطدم بالتنظيم الدولى (١) ، ويفتح الباب للفتن والاضطراب فى مجال أداء الفريضة وركن الإسلام ، وهو الحج ، وهو نوع من التدخل المرفوض فى الشؤون الداخلية لدولة مستقلة . بل إن هذا النظر يفتح الباب لدخول المطامع والاستغلال الدولى للدول التى تضم أقاليمها مقدسات دينية ، أو حتى تراثاً إنسانياً عظيم القيمة ، لأن استغلال ذلك فى تحقيق مصالح سياسية ضيقة سوف يكون على حساب استقلال هذه الدول ، وحقوقها على إقليمها مهما كان يتعاق به مصالح للناس دينية أو دنيوية .

(١) لا يجوز ميثاق الأمم المتحدة أن يبقى على أرض الدولة قوات تابعة لدولة أخرى إلا باذنها أيا كانت صفة هذه القوات أو الغرض منها ، ويعتبر ذلك انتقاصاً من سيادة الدولة لا يمكن قبوله . كما أن وجود أى هيئة أو منظمة حتى ولو كانت منظمة دولية لا يميز لها التدخل فى الشؤون الداخلية للدول المستقلة ، وهذا من أسس التنظيم الدولى .

ومن الناحية الشرعية ، فإن الاستطاعة شرط في أداء فريضة الحج ، ولا يجوز أن يخرق إنسان مسلم هذه الاستطاعة بنفسه بفعل ما يحرم فعله ، أو التهديد بذلك في الحرمين الشريفين ثم يحتاج بأنه منع من الدخول ، فالإنسان لا يجوز أن يستفيد من خطئه ، ومن إثارة الفتن والفتن في أقدس الأماكن توصلاً لفرض سيطرته وهيمنته عايتها بأى دريق ، تحقيقاً لمصالح سياسية أو وطنية أو مذهبية غير مشروعة .

وختاماً ، فإن ما هو مشاهد من اهتمام لالة الأمر في المملكة العربية السعودية من حراسة الحرمين الشريفين ، وخدمتهما ، وصيانتهم ، وتزايد الاهتمام بأماكن الشرائع المقدسة ، ونمو الخدمات التي تؤدي للحجاج عاماً بعد عام ، كل ذلك يقطع بآن المملكة تفتح السبيل إلى بيت الله لكل المسلمين ، وتيسر لهم أداء الفريضة ، فهذا الجانب من الاستطاعة حققته المملكة بما لها وجهدها لجميع المسلمين منذ عشرات السنين ، وهي لا تقصر فيه - وهي شهادة حق - ولكن واجبها أن تحفظ هذه الاستطاعة لكل المسلمين ، حتى لا يكون في التهاون أمام الفتن والاضطرابات في مواسم الحج ما يخرق هذه الاستطاعة وما يمنع المسلمين الذين يريدون وجه الله وحده من أداء الفريضة ، أو زيارة الحرمين الشريفين .

البَاب
الخامس

و.. مَسْئُولِيَّةُ
الرَّأْيِ الْعَامِ..

وهذا الاستهلال أو تلك التوطئة إنما هي اقرار بحقيقة لاحتياج لتأكيد أوبرهان سميتها سمة الثوابت ، وإن كان مفهوم الأمن يحتاج هنا إلى بعض الإيضاح فقد يسأل سائل لمن الأمن؟ وترد الإجابة واضحة جلية من كتاب الله السخي بالمعاني والكریم بالعطايا « (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ، وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) (١) .

وفي مدرسة النبوة يطالعنا توجيه رشيد « المؤمن من آمنه الناس على دماءهم وأموالهم » .

الأمن بعبارة موجزة الإيمان والعمل بأن « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » .

الأمن العام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢) .

الأمن العام هو إقامة الحدود على المذنبين « أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم » (٣) .

(٢) آل عمران ١٠٤ .

(١) الأنعام ٨٢ .

(٣) محمد : ٢٩ .

ولعل التأكيد على بعض الأمن العام يدعونا لتدبير الأمر بالنسبة لأحداث مكة المؤسفة في موسم الحج الماضي فقد قامت شرذمة من الإيرانيين بالتعدى على الأمنين الساعين من الحجاج ضيوف الرحمن ، ومن مطالعة البيان الثانى لوزارة الداخلية السعودية فى الثامن من ذى الحجة عام ١٤٠٧ هـ يتضح أنه فى يوم السادس من ذى الحجة قامت مجموعة من الحجاج الإيرانيين بممارسات غوغائية ، وأعمال تخريبية فى ساحة المسجد الحرام وذلك بتشكيل مسيرة صاحبة أشاعت الفوضى والاضطراب بين حجاج بيت الله الأمنين وأوصدت منافذ الطرقات وغرقلت مسالك المرور وحالت دون تمكن الحجاج والمواطنين من مراعاة شئوئهم وأفدت على الطائفين والقائمين عبادتهم فى المسجد الحرام وقد عمل المحتجون على التفاهم السلمى مع مقدم المسيرة برجاء إفساح الطريق أمام الأطفال والنساء المحتجزين فى السيارات إلا أن الإيرانيين أصرروا على مواصلة المسيرة ، وسط هتافات توجه المتظاهرين إلى بيت الله الحرام دافعين المواطنين بعنف وقوة . ولقد حاول رجال الأمن منع المواطنين وبقية الحجاج من الاضطدام بالإيرانيين المتظاهرين فما كان من المتظاهرين إلا أن استخدموا ضدهم العصى والسكاكين والحجارة فكان لابد لرجال

الآمن من التضدى للمسيرة وفضها . إلا أن المتظاهرين تراجعوا في اندفاع فوضوى للخلف حيث تساقط العشرات من النساء اللاتي كن وسط المسيرة تحت أقدام المتظاهرين كذلك تساقط عشرات من الرجال الطاعنين في السن وأخذ المتظاهرون في حرق السيارات والدراجات وتحطيم عربات الأمن وتحطيم البنايات وإشعال النار فيها ولولا حرص وأداء رجال الدفاع المدنى ورجال الأمن وتطويق الحادث وفض المتظاهرين وفتح الطرقات أمام الحجاج لتفاقمت الحوادث ووصل عدد الضحايا أكثر مما وصل ، فقد بلغ عدد الوفيات نتيجة هذه الأعمال الإيرانية الغوغائية اثنين وأربعمائة شخص فضلاً عن الخسائر المادية الأخرى .

ولم تقف الأعمال الإيرانية غير المسئولة وغير الملتزمة بتعاليم الدين وأخلاقياته عند هذا الحد بل تم الاعتداء على السفارتين السعودية والكويتية في طهران واختطف الإيرانيون أربعة دبلوماسيين سعوديين أعادوا ثلاثة منهم ومات الرابع (السيد مساعد الغامدى) متأثراً بصنوف العذاب التي لاقاها فضلاً عن عبث المهاجمين للسفارة السعودية بمحتوياتها دون مراعاة للمواثيق والقوانين الدولية والاعراف الإنسانية .

ولنا هنا وقفة حول ارتباط هذا التصرف بالإسلام .. وإنه لمن نافلة القول أن ما حدث غوغائية وأن ما حدث همجية وأن الإسلام منه براء بل إن كل الأديان السماوية تشجب العنف وتحرم الاعتداء على المقدسات وعلى الأرواح البريئة .. وهل هناك أقدس من بيت الله وزواره وضيوفه وحجابه .

وان كانت الخمينية الإيرانية تقوم بهذه التصرفات وتحاول شرذمة غير مسئولة اقتحام بيت الله الحرام بالقوة ومعهم أدوات خروجهم عن حدود الإسلام فالمسلمون ينادون لبيك اللهم لبيك وتنادى تلك الشرذمة لبيك خوميني لبيك . . وحاشا لله العلى القدير أن تكون تلك حركة إصلاح .. وأى إصلاح وأى حركة .. فهى مظاهرة سياسية دعائية من خلال حمل السلاح واللافتات كان من نتائجها انتهاك دماء المسلمين وحرمااتهم .. ويتشدد الإيرانيون الخومينيون إذا جاز هذا التعبير بأنها الثورة الإسلامية . ألا ساء ما يدعون ، إنه غزو فكرى مخرب .. يستغل فى إطاره الإرهابيين ويستغل السذج من الناس ، والإسلام منه براء ، وكما يقول الدكتور العلامة الإيرانى موسى الموسوى الذى يعد من الخبراء القلائل ، الذى يربط بين الفكر

الدينى والفكر السياسى فيما معناه أن الثورة المدعى أنها إسلامية لاوجود لها فليس هناك ثورة إسلامية غير ثورة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ومجىء الإسلام ونزول الوحي وانتشاره كان الثورة الإسلامية الكبرى . وبالتالي كل ماشهدته التاريخ الإسلامى والعربى هو حركات سياسية اتخذت من الاسم غطاء لها .

ولم تكن هذه المرة الأولى التى يحاول فيها الحجاج الإيرانيون استغلال الحج لإثارة الشغب والفتن وترويج دعايات تستهدف أغراضاً سياسية منحطة فى أقدس المقدسات ، فقد شهدت السنوات السبع الماضية عديداً من هذه المحاولات التى قابلتها سلطات السعودية بضبط النفس والصبر وسعة الصدر حرصاً منها على تسهيل مهمة الحجاج فى أداء فريضتهم فى جو من الأمان والهدوء وعدم تعكير صفوهم ويمكن رصد هذه المحاولات فى التالى :

١ - فى ٢١ من ذى القعدة ١٤٠٢ هـ حيث تظاهرت مجموعة من الحجاج الإيرانيين أمام المسجد النبوى الشريف ورددوا هتافات بعد صلاة عصر يوم ٢٠ من ذى القعدة رافعين صور الخميني وتكررت هذه الصورة فى الأيام التالية .

٢ - في ٧ من شوال عام ١٤٠٣ هـ حيث أعلن الأمير نايف عبد العزيز وزير الداخلية السعودي أن بعض الحجاج الإيرانيين انحرفت مسالكهم عن الغاية الأساسية لأداء فريضة الحج إلى أهداف سياسية خاصة ودعائية تتعارض مع التعاليم الإسلامية بشأن فريضة الحج حيث وجد مع بعضهم أسلحة يدوية وسكاكين ومنشورات دعائية للإمام الخميني تهاجم المسؤولين في المملكة فضلاً عن التظاهر وإطلاق الهتافات بكلمات تتناقى مع كلمات التوحيد مثل « الله أكبر - خميني امام - الله أكبر » ومحاولة دخول المسجد الحرام ببعض الأسلحة النارية الصغيرة..

٣ - في ٢٤ من ذي القعدة ١٤٠٣ هـ عشر مع ٢١ إيرانياً على منشورات دعائية وصور وشعارات تبين أن قدامهم لم يكن بغرض الحج وقد تم اعتقال هؤلاء الأشخاص وصدورت المنشورات والصور تمهيداً لإعادتهم إلى بلادهم.

٤ - في ٣ من ذي الحجة ١٤٠٦ هـ تم إيقاف مجموعة من الحجاج الإيرانيين كانت تحمل منشورات وكتباً وصوراً دعائية كما قامت بأعمال تظاهر وتم التحقيق ومصادرة ما تحمله.

ولقد عبر وزير الخارجية السعودية عن أن القصد من وراء الأحداث الأخيرة هو إفساد موسم الحج بدفع ٧٠ ألف إيراني

لإحداث الفتنة ولقد كشفت التحقيقات التي أجرتها السلطات السعودية عن أن ما حدث كان مخططاً تخريبياً لزعر عزة الاستقرار ، إلا أن المخطط أساء إلى إيران وحكامه وإلى المسلمين .
وأمام هذه التعديات السافرة على المقدسات التهبّت المشاعر المصرية ضيقاً وحنقاً وألماً ومرارة لما حدث ، فمصر ليست بعيدة عن السعودية بجوارها وقوميتها ومقومات هذه القومية وبكل مشاعرها فالعلاقات المصرية السعودية علاقات وثيقة منذ فجر التاريخ منذ كانت شبه الجزيرة العربية على مر العصور مستودعاً بشرياً عظيماً ومنبعاً لموجات بشرية تتدافع في تيارات متتالية نحو الأقطار المجاورة .

ولقد جاء هذا الارتباط كنتيجة منطقية لتمييز الموقع الجغرافي فضلاً عن أن شبه الجزيرة العربية كانت بمثابة معين لا ينضب للموجات البشرية المتلاحقة .

ولأنه لمن نافلة القول أن العلاقات المصرية السعودية تميزت بوجود روابط عدة لعل أكثر ما يثيرها وجدانياً هو أن قلوب المسلمين المصريين تهفوا دائماً إلى أقدس المقدسات إلى كعبة المسلمين . ولم يشعر المصري أثناء وجوده بالسعودية أو السعودى

أثناء وجوده بمصر أنه بعيد عن أهله وعشيرته وبلده وهنا أستعير عبارة ذكرها الأستاذ الدكتور رأفت الشيخ في ندوة الأهرام عن المعرض السعودي والعلاقات المصرية السعودية « أن العلاقات بين البلدين قديمة ولا أريد العودة إلى الجذور .. إلى ابراهيم عليه السلام أب العرب وإلى زوجته السيدة هاجر المصرية .. وإلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وزوجته أم ابراهيم المصرية .. لكى تؤكد العلاقات القوية بين القطرين وبينهما البحر الأحمر الذى هو وسيلة اتصال لا انفصال .

وعلى الجانب الآخر نقول بثقة إن السعودية لم تكن بمنأى عن قضايا العرب وبصفة خاصة عن قضية الوحدة العربية التى تمثل بعداً أساسياً من أبعاد السياسة الخارجية السعودية والتى تمثلت بصورة أوضح وأشمل فى أكبر القضايا العربية وهى القضية الفلسطينية منذبروزها وحتى الآن ؛ ولم يكن الاهتمام السعودى منصرفاً للقول فحسب بل وجاء الدور مكتملاً بين الكلمة والسيوف وبين القول والفعل فى ديناميكية متزنة ومتوازنة .

ومن هنا يمكن القول بأن عمق العلاقة المصرية والسعودية

لاتسمح إلا لحسن الجوار، ولأواصر المحبة أن تستمر ، ولا غرابة في أن تتعاون الدولتان اللتان أعطيتا مقومات الحركة داخل الوطن العربي للعمل على وحدته ، فالسعودية تملك بثقلها الديني وبخصيلة وثمره جهاد وكفاح عاقلها الملك عبد العزيز ابن سعود الذى قاد حركة التوحيد أن تكون عاملاً مؤثراً ومحدداً في مسيرة الوحدة العربية . ومصر بثقلها الحضارى وبعدها العربى وبعلاقاتها المتميزة مع جيرانها تستطيع أن تضيف كثيراً للوجود العربى .

ومن هذا المنطلق الترابطى والأخوى ومن مشاعر المسلمين في مصر التى تأججت على أثر الحوادث المؤسفة للاعتداء على المقدسات والآمنين يمكن رصد حركة المشاعر المصرية في التالى :

(أ) على المستوى الرسمى : أصدرت رئاسة الجمهورية بياناً في ٧ من ذى الحجة ١٤٠٧ هـ (٣ أغسطس ١٩٨٧) عربية فيه عن أسف مصر لما حدث وعن أسفها لتصريحات المسؤولين في إيران التى تؤيد العنف ودعا البيان إلى عقد مؤتمر إسلامى طارئ وعاجل للنظر في هذه الأحداث الخطيرة . وفضلاً عن ذلك فقد تم اتصال تليفونى بين الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك

والملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين أكد فيه الرئيس المصرى أن مصر تقف إلى جانب السعودية وتؤيدها فيما اتخذته من إجراءات للحفاظ على مقدسات المسلمين وصون أمن وأمان حجاج بيت الله الحرام ، وتبادل الرئيس مع العاهل السعودى وجهات النظر حول الأحداث بصفة عامة .

ولقد أعربت مصر رسمياً عن أن ما حدث يمثل مساساً خطيراً بقدسية كعبة المسلمين ويعد نيلاً من جلال فريضة الحج وأن سفك الدماء حول هذا المقام الذى جعله الله مثابة للناس وأماناً يعد سابقة خطيرة لم يشهدها تاريخ الإسلام والديانات السماوية من قبل .

كما أعلن الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر فى بيان أصدره الأزهر الشريف أن هذه الحوادث والاعتداءات والمظاهرات فى هذه الأماكن الحرام محرمة من قبل الله سبحانه وتعالى بنص القرآن الكريم وكما ورد فى سورة المائدة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ تَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَرِضْوَانًا) كما ورد فى سورة البقرة :

(إِنَّا جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) .

ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك حين فتح مكة بقوله : « إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً أو يعضد شجرة : (يقطعها) .

وقد أعلن بيان الأزهر عن أن إيران كشفت عن سوء النية باستهدافها بالمقدسات الإسلامية وبيات الأمر عداً للمسلمين جميعاً ولم تعد حرباً مع العراق . بل قد وصل وصف الأمر أنه فتنة . كما أعلن الدكتور عبدالرؤوف شلبي وكيل الأزهر الشريف أن ما حدث في مكة ليس سوى جزء من مخطط كبير واسع تشترك فيه دول أجنبية ودلل على ذلك بوجود تنظيم للمظاهرات وتهريب للصور والأسلحة والشعارات المكتوبة على لافتات كبيرة .

كما أعلن فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية المصرية رأياً حول الأحداث المؤسفة في مكة وقال : « إن أى عاقل يشجب هذا الأمر ، ويغضب منه ، لأنه يظهر المسلمين بمظهر

لا يتناسب مع كرامة الإنسان .. ويجعل الناس من غير المسلمين
يذفرون من الإسلام ، ويجعل المسلمين في بغضاء وكراهية بعضهم
لبعض»

ولاشك أن هذه التصرفات غير المسئولة وهذه الأعمال
الغوغائية تشير إلى الشجاعة والبغضاء بين المسلمين ، .. وتعد هذه
التصرفات خروجاً عن الإسلام وتعاليمه .

وغنى عن البيان أن التصريحات المصرية على المستوى الرسمي
والشعبي تعكس حرص مصر كاملاً على سلام الأراضي المقدسة
وحمايتها وتشجب تماماً كل أعمال العلوان والخسة التي ترتدى
مسخاً وتتمسح بالدين الإسلامي وهو منها براء خاصة إذا أضفنا
أمراً هاماً بل ثابتاً من الثوابت السياسية للمملكة العربية
السعودية وهو أنه منذ توحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز
بن سعود عملت المملكة على توفير كل وسائل الراحة لضيوف
الرحمن ، وإبعاد موسم الحج عن أية ممارسات سياسية يمكن
أن تعكر صفو هذه المناسبة الدينية الجليلة .

(ب) على المستوى الأكاديمي والشعبي : أعرب فضيلة
[الشيخ محمد متولى الشعراوى الداعية الإسلامى الكبير عن ضرورة

اجتماع قادة الأمة الإسلامية على الفور لبحث ما حدث أخيراً من أحداث مؤسفة في البلد الحرام وحول المسجد الحرام وضرورة اتخاذ قرار حاسم ضد الذين روعوا الآمنين ، وانتهكوا حرمة البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً ، وذلك أن الأمر لم يعد مجرد حدث تم في السعودية ، فالسعودية ليست طرفاً ، وإنما المسلمون جميعاً هم الطرف المواجه للمعتدين ، . . . والذي حدث أخيراً فعل بشري بكل المقاييس وخروج على منهج الله وفاعلوه بالتالي خارجون عن الإسلام والإيمان كما نفهمه « فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده » . ، « المؤمن من اتتمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم » .

ولقد صرح فضيلة الأستاذ الدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية جامعة الأزهر : بأن التعرض للآمنين القاصدين لبيت الله إنما هو اعتداء على ذات الله ، لأنهم في ضمان الله لقوله صلى الله عليه وسلم : « الحاج في ضمان الله مقبلاً ومدبراً » . ولاشك أن الذي حدث في الحرم هو اعتداء فوق كل اعتداء في شهر حرم الله تعالى القتال فيه وهو اعتداء على قدس المقدسات .

وأعرب فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عن أن ما حدث مؤامرة على الإسلام وهدم لشعائر الله والمسجد الحرام وفتنة أملاها شيطان الحق على الأنفس المريضة بالطائفية . ولقد أمر الله ألا يذكر في هذا البيت الحرام إلا اسمه فإذا بهؤلاء المضللين يرفعون صورة الوثن ويسبحون باسمه (وكانهم) يعبدونه من دون الله ، وما عهدنا مثل هذا السلوك في تاريخ الإسلام كله إلا في أجدادهم القرامطة الغلاة الذين استباحوا حرمة البيت الحرام «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا» .

ووصف فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار رئيس المركز الدولي للسيرة والسنة ما حدث بأنه قطع لطريق الحج إلى بيت الله الحرام وسعى في الأرض بالإفساد ، وتعجب سيادته كيف تستبيح جماعة من المسلمين اشعال نيران الفتنة بين صفوف المؤمنين الذين توافدوا من كل فج عميق ليقضوا تفثهم ويوفوا نذورهم ويطوفوا بالبيت العتيق ؟ .

ولقد تناولت الجرائد والمجلات المصرية في صدر صفحاتها الحادث الهمجى بالتصوير والتحليل مستنكره ما حدث منبهة

للضرورة التصدى بأسلوب علمى مدروس حتى لاتتأنى الرياح مرة أخرى فى عكس الاتجاه الصحيح بعد لتدمير قوى المسلمين وإضعافهم .

ولقد روى الحجاج المصريون الذين عادوا إلى أرض الوطن عقب انتهاء أداء فريضة الحج تفاصيل ما حدث وأوضحوا أن السلطات السعودية ساعدت عدداً كبيراً من الحجاج الإيرانيين الذين أصيبوا فى الأحداث على أداء مناسك الحج ، كما أكد معظم الحجاج العائدين أن المصريين كانوا بعيدين عن منطقة العزيزية التى أحدثت الشغب ، واستنكر الحجاج ما حدث واعتبروه خروجاً على أبسط قواعد الدين الإسلامى بل هو اعتداء صارخ على المقدسات .

ولعل هذا رأى المصرى المتسم بالأسى والأسف والحسرة على الإيرانيين وما أصابهم وترنحهم صوب أى اتجاه حتى كأنهم سكارى شربوا من كؤوس الحقد والغش والغدر فتاهت عقولهم وزاغت أبصارهم وتفتتت قلوبهم ومشاعرهم ولعل هذا رأى المصرى فى الأحداث المخزية يجرى مواكباً لرأى جل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .، فقد ألهم هذا الحدث كل مشاعر

المسلمين الصادقين المخلصين لدينهم .. خاصة وأن العدوان ليس على البلد المضيف الكريم فحسب ذلك البلد الذي كرمه الله بوضع أول بيت للمسلمين فيه ... ذلك البلد الأمين العتيق الذي ظل عطاء شعبه متواصلاً لخدمة الحبيب من كل الأجناس والذي لم يضمن على زواره بالسهر على راحتهم وروحانيتهم ولم يبخل في سبيل ذلك بمال أو جهد أو رجال .

ولكن ماذا بعد ؟ هل يريد خوميني أن يهدم الكعبة ويستولى على الحجر الأسود ويعيد بناء كعبة له في (قم) .. إن الخميني ورجاله - إذا صح أن هؤلاء رجال يقدرون مسؤولية العمل الذي يقدمون عليه - يخلطون بتصرفاتهم هذه بين الله وريجان والشيطان وصادم حسين والأنبياء وغيرهم بقلوب ملؤها الحقد الأسود والتطير .

وحتى لا يتكرر الهتاف لغير الله وحتى تخيب استراتيجية وتكتيك النظام الخميني الذي دبر وأعد ودرب ، ووجه خطاباً إلى الحجاج الإيرانيين قبل وبعد وقوع الأحداث الأخيرة والذين يمثلون في معظمهم كوادر الثورة الإيرانية وحراسها والذين تم تدريبهم وإعدادهم للقيام بهذه المهمة .. حتى لا يتكرر ذلك ماذا يجب أن يفعل المسلمون سواء في السعودية أو غيرها فلقد

كان ما حدث هو ناقوس للخطر دقه خميني دون أن يدري ..
فلقد تساهلت معه السلطات السعودية كثيراً وعاملت الحجاج
الإيرانيين برفق ولين رغم ظهور نوايا سيئة وتحركات خبيثة
في مواسم الحج السابقة

^١ ولا بد أن يدرك المسلمون جيداً أنهم مطالبون باليقظة وبعدم
التراخي والاسترخاء .. لا بد من عمل تجمع عليه الأمة الإسلامية
^٢ يعيد لها معنوياتها القوية التي أصابتها اليد الآثمة وعلى السعودية
بالذات ألا تقبل بأي صورة من الصور تكرار ما حدث في
الحرم المكي فقد تمتد اليد الآثمة إلى الحرم المدني ولعل ذلك
يجيء متسقاً مع ما أعلنته الأمير نايف وزير الداخلية السعودية من
أن المملكة السعودية لن تقبل بأي حال من الأحوال تكرار ما
حدث في موسم الحج الماضي من محاولات إيرانية لبث الفتنة
ولقد أكد سيادته أن السلطات السعودية ستتخذ كل ما في وسعها
لرد أي اعتداء على أمن السعودية أو سيادتها أو لتعطيل موسم
الحج وإفساده .

ونرجو أن يدرك المسلمون جيداً أن الخطر ليس قادماً
من الهوس الإيراني فحسب بل هو مخطط دولي بقصد التدخل
الكامل في المنطقة لتحقيق مآرب سياسية واقتصادية واستراتيجية

وقد تسهل إيران فقط آليات التدخل والتي لا تملك دولة من دول المنطقة منفردة دفعه بعيداً عنها .

لعل العرب يدركون جيداً أو يربطون بدقة بين أحداث مكة والحرب الإيرانية ويتفقدون على حد أدنى في الرأى ويدركون أن تطلع الفرس القديم والحديث ليس للعراق ولكن للخليج كله بدوله كلها ، وهو تطلع وأن كان أحق الرؤيا إلا أنه وارد لديهم ولاشك أن جميع شعوب الأمة الإسلامية تدرك جيداً أن أن التهاون في مواجهة مثل هذه الأحداث كفيل بامتداد قوى الشر والعدوان إلى كافة المقدسات الإسلامية وتعريضها للخطر فضلاً عن الإساءة لصورة الأمة الإسلامية وجدارتها برسالة الإسلام .

ولعل الخميني يدرك جيداً أنه بعثه هذا يضع دولته في محك الاختبار بين البقاء والعدم ، وليس العدم المادى بل الروحى بالقيم والأصالة والحضارة ، لعله يحرك بصره وبصيرته ويدرك جيداً معنى قول الله تعالى : (فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا) « الأنعام ١٠٤ » ، لعله يأخذ بزمام نفسه ويزيح ستائره السوداء ، وأغشيته القائمة وحتى لا يختار لنفسه منزلة دنيا لم يردها الله له يوم منحه السمع والبصر والفؤاد ..

وحتى لا ينطبق عليه قول العزيز القهار (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) (١).

لعله يحرك عقله ويتدبر ليعي آيات الله (كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٢) ، (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) (٣) .

وأخيراً وليس بآخر فإن أمانيه لن تتحقق طالما في نفوس
المسلمين الصادقين ذرة من إيمان وعقيدة وحركة وصبر ومثابرة
(تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٤) .

ولا نقول لمكة وداعاً .. فإننا عائدون لنحج في عامنا القادم
إن شاء الله ، وأنت أكثر أماناً وسلاماً ولكن نقول وداعاً يا مكة
فأنت في حمي الرحمن .. والله أكبر ستتكرر الأصنام ؛ والله أكبر
سيندحر البغى والعدوان ، والله أكبر ستسقط دولة الظلم والمفتريات
على المقدسات ، الله أكبر فالبيت له رب يحميه ومبروكة أنت
يا مكة .. مباركة دائماً .. شامخة عامرة بفيض الله ورحمته
وتسبيح الحجيح والمعتمرين وأهلك الكرام وحمائك خدام
الحرمين .. وليبك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك
وليندحر البغاة يوم العرض عليك .

(٢) البقرة : ٢٤٢ .

(٤) البقرة : ١١١ .

(١) محمد : ٢٣ .

(٣) الأنعام : ٥٠ .

خاتمة

و .. بعد .. فهل نحتاج إلى مزيد من الدراسة أو القول ..
لا أعتقد ..

فقدسية الحرمين .. شريعة إسلامية ..

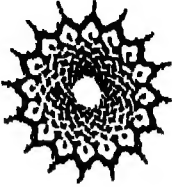
والمسؤولية .. سعودية .. شرعاً وقانوناً ..

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الباب الاول	
قدسية الحرمين في القرآن والسنة والفقه	١٥
الباب الثاني	
كبيرة الكبائر	٥٧
الباب الثالث	
وعدم مشروعية التدويل	٨٢
الباب الرابع	
فوح الشدا - احكام لابن هشام	١١٥
الباب الخامس	
ومسئولية الراى العام	١٧٥

رقم الايداع ٢١٧٩ / ١٩٩٠

مطابع مؤسسة دار الشعب - للمصحافة والطباعة والنشر
٩٢ شارع قصر المعيني - القاهرة ت. ٢٥٥١٨١٠١ - ٢٥٥١٨١٨ - ٢٥٤٣٨٠٠



□□□ مختارات من مطبوعات الشعب □

□ « النبي محمد » والسياسة الدولية

□ د. مصطفى كمال وصفي

□ محمد محرد العبيد

□ شوكت التوني المحامي

□ محمد رسول الحرية

□ عبد الرحمن الشراوى

□ في ظلال السيرة

□ محمد لبيب البوهي

□ محمد نبي البر

□ (المختار من سيرة ابن هشام)

□ ابراهيم الايبارى

□ لجات عن أمهات المؤمنين

□ منصور الرفاعى عبيد

□ حكايات اسلامية

□ سنيه قرامه

□ رجال من مكة

□ عبد المنعم الجداوى

□ سيد شباب اهل الجنة ..

□ حسين محمد يوسف

□ العبقريات

□ عباس محمود العقاد

□ اصحاب الحسين في كربلاء

□ صلاح عزام

□ محمد معلما مرييا

□ عبد التواب يوسف

□ أبناء الرسول في كربلاء

□ خالد محمد خالد

□ محمد والعقل

□ حسن الحفناوى



ثقافة وعالم إنسانية لكل الشعوب

الكتاب .. والمؤلف

□□ هذا هو الكتاب رقم ٢٥ للمؤلف الأستاذ صلاح عزام واحد من رواد الصحافة والكتابة الإسلامية في مصر .. وقد عايش أحداث الحرمين في مواسم الحج المختلفة .. وشارك في المؤتمرات التي عقدت تحت شعار قدسية الحرمين وساهم بالرأي والكتابة في توضيح ما حدث حول الحرمين .. وما يجب أن نكون عليه مسئولية الشعوب الإسلامية وحكوماتها نحو هذه القضية المقدسة .

□□ والكتاب عرض (وانتقاء) لمعد من الدراسات من بين ٧٢٠ بحثاً قدمت للعديد من المؤتمرات .. التي تعرضت لقضية الحرمين الشريفين من حيث الاعتداء والدفاع والمسئولية والدور القائد والرائد الذي تقوم به المملكة العربية السعودية .. (لأن قدسية الحرمين .. شريعة اسلامية .. والمسئولية سعودية .. شرعاً وقانوناً) كما يقول المؤلف في آخر سطور كتابه .

١٩٩٠ هـ - ١٤١٠ م